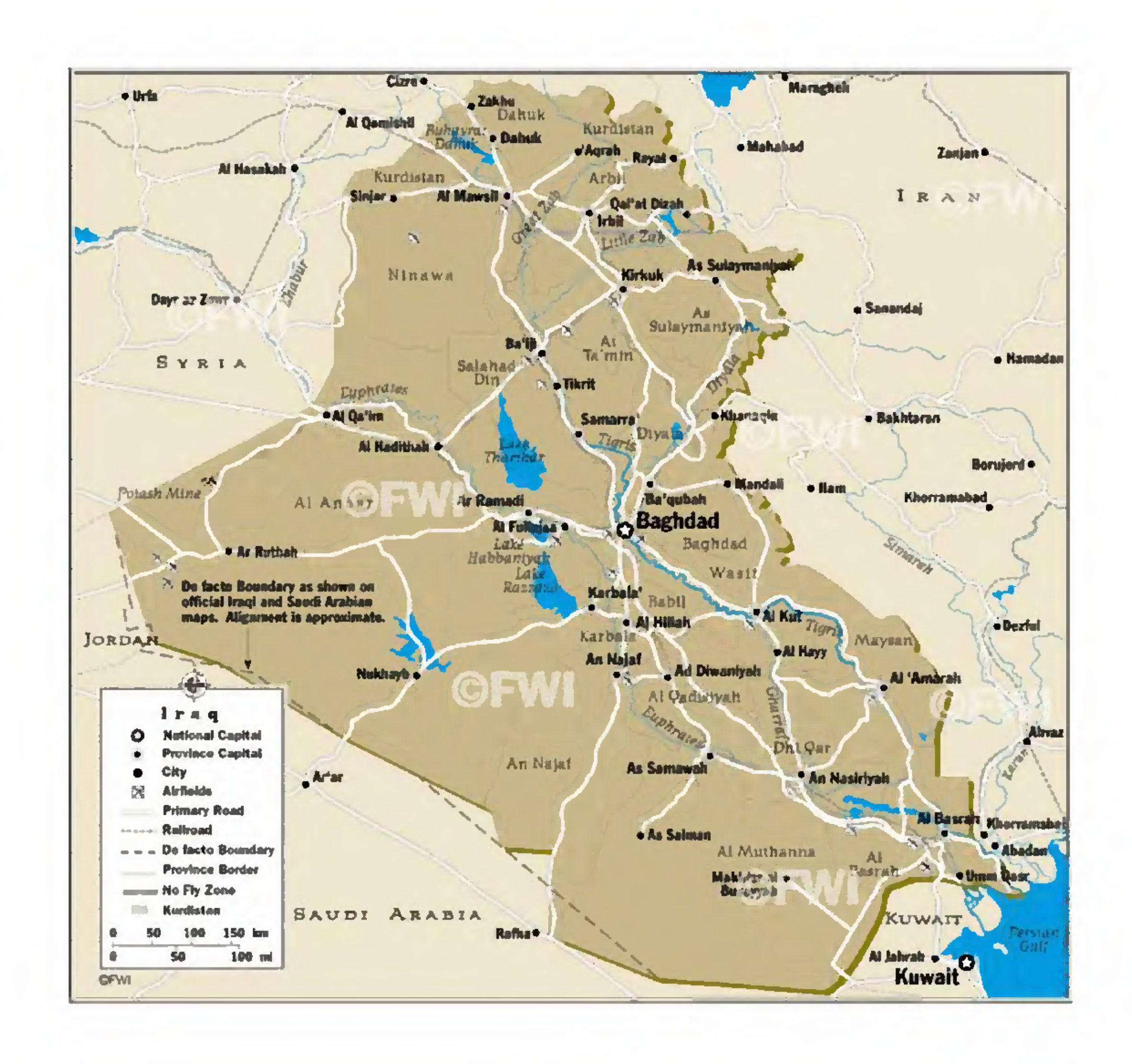
عودة الطائفية في العراق

منذ نهاية العهد الملكي في 14 تموز ولغاية احتلال بغداد في 9 نيسان 2003



تأليف

د. عبدالرزاق محمد جعفر



عودة الطائفية في العراق

منذ نهاية العهد الملكي في 14 تموز
ولغاية احتلال بغداد في 9 نيسان 2003

📖 الطبعة الأولى 📖

1431هـ - 2010م



دار الكتاب الجامعي
عضو جمعية الناشرين الإماراتيين
عضو اتحاد الناشرين العرب
عضو المجلس العربي للموهوبين والمتفوقين
العين ـ الإمارات العربية المتحدة

ص.ب. 16983

هاتف 00971-3-7554845

فاكس 00971-3-7542102

E-mail:bookhous@emirates.net.ae

جمع وتنفيذ وإخراج: كمبيورايتر Compu_Writer لخدمات دور النشر «عادل ندا» القاهرة
(002-0100390516) - E-mail: compu_writer@yahoo.com

عودة الطائفية في العراق

منذ نهاية العهد الملكي في 14 تموز ولغاية احتلال بغداد في 9 نيسان 2003

تأليف

الدكتور عبدالرزاق محمد جعفر

أستاذ جامعات بغداد والفاتح وصفاقس ـ سابقا

الناشر

دار الكتاب الجامعي

العين ـ دولة الإمارات العربية المتحدة

2010

الإهـــداء

إلى الأستاذ/ وليد الحلبي

تقديرا وعرفانا

على مجهوده في

تنقيح النسخة العربية

الدكتور عبدالرزاق محمد جعفر

المحتويات

الموضوع | الصفحة

المقدمة

الغرض من هذا الكتاب وترجمته إلى اللغة الإنكليزية، هو تقديم شرح مبسط لأبناء الجاليات الإسلامية والعربية في المهجر، لشرح علاقة الطائفية بالثورات الوطنية التي تفجرت في العراق، منذ نهاية العهد الملكي في 14 تموز 1958 ولغاية احتلال بغداد في 9 نيسان 2003، وبيان أسباب عودة النزاع الطائفي بين السنة والشيعة، وكيف تمكنت هذه الظاهرة البغيضة التي بزغت منذ ألف سنة ونيّف، وكادت أن تكون في حالة سبات لفترة طويلة، إلا أنها استيقظت بعد انهيار الملكية، وازدادت استعاراً وبعنف بعد احتلال بغداد!!

كما أن الكتاب يحتوي على مقترحات للتخلص من هذه الظاهرة بالسرعة الممكنة من أجل تشجيع جميع الناس للعيش بمحبة وسلام، كما في دولة ماليزيا الإسلامية، المتكون شعبها من عدة قوميات، ومذاهب مختلفة، مثل المالي (60٪)، والصيني (20٪)، والهندي (2٪)، والتي لكل منها دينها ومذهبها ولغتها، ومن الجدير بالذكر، أن هذه الدولة، تحررت من الهيمنة الخارجية في الأربعينات، وفي سنة 1963، نِشأت الجمهورية الماليزية الفدرالية من 13 ولاية، بقيادة رئيس وزرائها، الدكتور محمد مهاذير، وفي أكتوبر سنة 2003، أكمل الدكتور محمد مهاذير 20 عاما كرئيسا للوزراء.

وعلى أية حال، فقد بزغت ماليزيا في عهده وأصبحت من أكثر الأقطار الإسلامية تقدماً وغنى في منطقة دول شرق آسيا، ولقد أظهر الدكتور مهاذير الوجه المشرق للعالم الإسلامي. حيث طبق النظام التقدمي في الاقتصاد والسياسة والأبحاث العلمية. ولم يسمح نظامه بالتحيز أو المحاباة لأي طائفة عرقية أو دينية لأي من مكونات الشعب الماليزي.

لهذه الأسباب وغيرها صرت طامحاً إلى منع نمو ظاهرة الطائفية البغيضة في وطني الغالي العراق ومناشدة كل الفئات الطائفية والعرقية في ربوعه عدم استخدام قدراتها تحت أي من المسميات لتقسيم العراق .



البرج التوئم في كوالا لمبر عاصمة ماليزيا



أحد الشوارع في مركز العاصمة الماليزية كوالالمبور

آمل لهذه المحاولة أن توضح للخيرين من أبناء الشعب العراقي الطريق الصحيح نحو المستقبل بعيون مفعمة بالأمل، ودحر كل المفاهيم الوعرة التي زجت في عقول أبناء الوطن الواحد. ولذا كان من الواجب استخدام القوة مع المغرضين لمنعهم من نقل

وتطبيق العادات والمعتقدات السيئة المخالفة للقرآن الكريم والسنة النبوية بين كافة أبناء الشعب في وطننا العراق.

بينت التجارب لنا ضرورة التوجه نحو النهج الطبيعي في المستقبل، ورمي كل الأفكار السلبية بعيداً، وكلي أمل أن أرى الطائفة السنية والشيعية وبقية الأديان والقوميات في العراق متعايشة معا بسلام كما هي الحال بين المذاهب السنية المختلفة مثل، الشافعي والمالكي والحنفي والحنبلي، لأن للمنتمين لكافة المذاهب الإسلامية رب واحد وقرآن واحد وقبلة واحدة وسنة واحدة، ولذا فمن الصواب إلغاء الحواجز بين أبناء الطائفتين، كما يجب طمر المعلومات الدخيلة التي تسربت وعششت في عقلية المسلمين البسطاء.

دعونا ننظر إلى ما يجمعنا، ونهمل ما يفرق بيننا بدلاً من النبش في العيوب، وإعلان استيائنا من معتقدات أية طائفة من الطوائف الأخرى، وبهذا سيتركز اهتمامنا فقط في معالجة الأمور الفقهية في القضاء.

دعونا ننظر إلى ما يجمعنا بصورة عامة، وليس إلى ما يفرقنا، ولذا، ووفق اعتقادي، من الضروري التصدي وازدراء كل من يروج للطائفية، والعمل على إتباع خطوات علمائنا الذين عبدوا لنا الطرق الوعرة منذ مئات السنين.

تعقبت شخصياً هذه الظاهرة بسبب حبي للناس كبشر، وبغض النظر عن معتقداتهم المذهبية، فالوضع الراهن الذي بزغ بعد احتلال بغداد دفعني للغوص في مستنقع الطائفية البغيضة وتحري أسباب عودتها بعنف، بعدما همدت ودخلت بدور السبات نسبياً في الخمسينيات !

خلال مراحل حياتي السابقة، زرت العديد من الدول الأوربية، وشعرت بالمودة بين شعوبها بغض النظر عن الاختلاف بين قومياتهم ومذاهبهم الدينية وحتى لغاتهم، ... فمن المعلوم أن معظم هذه الأقطار تحدت فيما بينها بالرغم من الاختلاف في مساحاتها الجغرافية ولغاتها وحالاتها الاقتصادية والاجتماعية، .. وبالرغم من كل ذلك، فقد اتحدت تلك الأقطار وكونت دولة واحدة (الاتحاد الأوربي)، لها علم واحد وعملة

واحدة، وأصبح لأي فرد في أي قطر من أقطارها حق الانتقال والإقامة والعمل والتملك، من دون الحاجة إلى استخراج تأشيرة أو ترخيص.

لقد عاصرت الطائفية في العراق منذ الصبا، ولم أتفق بالرأي مع الذين استخدموا النقد اللاذع أو الحرب الباردة الخفية بين كلتي الطائفتين السنية والشيعية. وعلى أية حال فإن تلك الحرب قد خفت حدتها أو كادت أن تزول في سنة 1950، إلا أنها عادت ثانية بعد ثورة الرابع عشر من تموز والثورات الأخرى التي أعقبتها، وإن سبب ذلك عائد لرأس الحكومة ومن يدور حوله من مساعدين، حيث استخدموا فئة من الشعب تتبع نفس مذهب رأس الدولة لتنفيذ أجندة ذلك الحاكم، ولإيجاد المخرج القانوني لها والتصفيق له !

استمرت هذه الحالة حتى احتلال بغداد في التاسع من إبريل/ نيسان 2003، ثم نمت بسرعة فيما بعد، ومع الأسف الشديد زاد تجار السياسة من ضراوتها يوماً بعد يوم.

لقد صممت على التصدي لجميع المعتقدات السلبية التي سببت الضرر لتعاليم الإسلام وزادت من تمزق الشعب العراقي المتميز بديانات وقوميات مختلفة، ولذا سوف أحاول شرح العلاقات والروابط التي تساهم في تقوية الروابط بين مكونات الشعب العراقي.

غادرت وطني العراق، في تموز (يوليو)، 1992، عند نهاية حرب الخليج الثانية، فقد كنت وعائلتي في حالة مزرية بسبب الحصار الجائر آنذاك، وخاصة بعد الحرب التي شنتها قوات التحالف بقيادة أمريكا لإخراج القوات العراقية التي غزت الكويت، وهاجرت عن طريق الأردن إلى طرابلس العاصمة الليبية، ولا أريد الخوض في شرح معاناة كافة شرائح الشعب العراقي، بمن فيهم البعثيون، من هول المحن التي واجهتهم.

وعلى أية حال، فان الموقف الجديد بعد سقوط بغداد، هو الذي دفعني لتدوين أهم الخواطر التي عشتها منذ سقوط الملكية في سنة 1958، إضافة إلى المعلومات التي انتقيتها من أهم المصادر العربية والإنكليزية لتكون أخيراً هذا الكتيب، وترجمته للغة الانكليزية.

الطائفية هذه الأيام

Denominationalism Now A days

عشت في الغربة، في أقطار مختلفة، مثل ليبيا وتونس والأردن وماليزيا، لأكثر من عشرين عاماً، كأستاذ جامعي في جامعاتها تارة وكسائح تارة أخرى!

وقد تلقيت برحابة صدر أسئلة مزعجة عندما كنت أتحدث مع بعض الناس في تلك الدول، وما أن كان أحدهم يشعر بلهجتي الغريبة عنه... حتى يبادرني على الفور بسؤال : من أين حضرتك؟ ..فأجيب السائل برحابة صدر: عراقي !..

كان الأمر اعتيادياً بالنسبة لي، إلا أنه صار مزعجاً لدرجة لا تطاق بعد أن غيمت سحب الحرب، ..ثم،

احتلال بغداد، حيث يرمي السائل فوراً سؤالا آخرًا:..... (ومن أين في العراق؟)، من الجنوب أم من الشمال؟!!

أفهم فوراً قصد السائل، وأجيبه بكل صراحة، وينتهي الأمر، إلا أن البعض منهم، يتمادى في سؤاله، .. ثم يسأل : .... (وهل أنت شيعي أم سني؟ !!).

في البداية كنت أجيب السائل بالحقيقة محاولاً إفهامه أن لا فرق بين السنة والشيعة في العراق، وأن الجميع إخوة منذ آلاف السنين وأن ما استجد من خلاف بينهما، سببه تجار السياسة، لزرع الفتنة بين أبناء الشعب الواحد، وهكذا وكما يقال في المثل اللبناني : (سيرة وانفتحت!!).

يتفهم بعض السائلين شرحي ويؤمن به، إلا أن البعض الآخر يستهجن كلامي، ... ومن ثم يطرح أسئلة أخرى سمعها، .. أو إشاعات مغرضة عن الشيعة أو عن

الحروب التي تفجرت بين العراق وجيرانه، ومن هو صدام؟....وما الأعمال التي اقترفها أثناء حكمه، وما أن أنتهي من الاستجواب، إلا وأنا منهك، ولذا اضطررت أن استخدم الكذب الأبيض، وأدعي أنني مواطن من أحد الأقطار العربية، وفي إحدى المرات ادعيت بأنني هندي! واستغرب السائل : .. وكيف تتكلم العربية؟ .. فقلت له، ولم..لا..، الأرض بتتكلم عربي!!

وعلى أية حال، فإن عودة الروح للطائفية بعد سقوط بغداد، لها علاقة مباشرة ببعض الساسة الذين فقدوا مراكزهم، ولذا لم يشاركوا في العملية السياسية، وإضافة إلى ذلك زجوا بالمقاومين العراقيين وكذلك المتطوعين الأجانب من مختلف الدول الإسلامية والعربية المحيطة أو البعيدة عن العراق لمحاربة القوات الأمريكية والعراقية الفتية من الشرطة والجيش التي تضم أفراداً من كلا الطائفتين، لأجل زعزة الاستقرار فيه بصورة مستمرة، وقد وصل الأمر إلى حالة اللا حرب واللا سلم، وبات مطلب كل عراقي في الداخل والخارج، .. الأمن أولاً وقبل كل شيء !!

ولذا، فإن بعض الأفراد الموالين للنظام السابق من سنة وشيعة، ساندوا المعارَضة المسلحة، ولم يشاركوا، أو عارضوا العملية السياسة لانتخاب الجمعية الوطنية أو التصويت على الدستور أو انتخاب مجلس النواب أو المشاركة في وزارة الوحدة الوطنية أو الوفاق الوطني.

جميع ما ذكرته أعلاه، دفعني إلى كتابة هذه الخوالج الإنسانية لإيقاف ظاهرة الطائفية، ولبيان الحقائق التي أججت الفتنة وجعلت الصراع بين السنة والشيعة تطفوا على السطح ثانية كسبب ظاهري غطى على الأسباب الحقيقية لاستقرار الأمن في العراق.

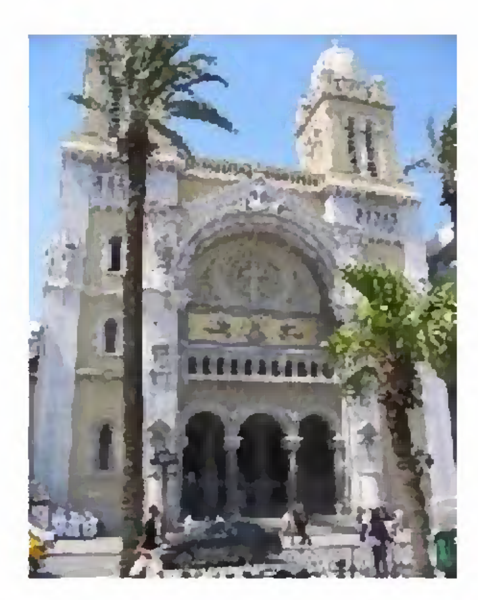
أرجو من كل قارئ كريم أن يعلم بأن القتل العشوائي بعد سقوط بغداد بين أفراد الشعب، ليس مرده الطائفية بحد ذاتها، بل المنافسة لكسب أكبر قدر من السلطة الجديدة بعد انهيار نظام صدام، وادعاء فرق متعددة من الموالين لذلك النظام أو المعادين للاحتلال، أحقيتهم بالإرث.

وكما نوهت في البداية، فإن حدة الطائفية كانت بدور السبات في الخمسينات، ولذا ارتفعت نسبة الزواج بين أفراد الطائفتين في الجامعات والكليات والمعاهد، إضافة إلى ذلك، فإن دخول المرأة بشكل مكثف إلى الحياة العملية كموظفة في كافة التخصصات في مختلف الوزارات، زاد من التعارف بين الجنسين مما أدى إلى توثيق الروابط العاطفية التي دحرت التعصب الأعمى لمفاهيم قديمة دست في كتب صفراء قام بتأليفها أساتذة جامعات مرموقين من السنة والشيعة، زجوا فيها قصصاً وهمية لتشويه معتقدات بعضهما البعض داخل الجامعة نفسها، حيث أن كل جامعة في العراق ما هي إلا مجتمع عراقي مصغر يحتوي على نسب مختلفة من السنة والشيعة بشكل عشوائي، نسب غير مخطط لها مسبقاً، وخير مثال على ذلك ما دون في بعض كتب السنة من أن للشيعة قرآن خاص بهم ! وأن جبريل عليه السلام أرسله الله تعالى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلا أن الوحي ضل طريقه وتوجه إلى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم!!

وعلى صعيد آخر، فإن هناك من يدعي وجود بعض الكتب الدينية لدى الشيعة مفعمة بافتراءات على الخلفاء الراشدين من أصحاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم، مثل أبي بكر وعمر وعثمان عليهم جميعاً السلام .



نصب ضريح الجندي المجهول في ساحة الفردوس في بغداد
شيد في أعقاب ثورة 14 تموز 1958



الكنيسة الكاثدرالية في شارع أبو رقيبه رقيبة في العاصمة تونس

إن دراسة أو مناقشة أي موضوع له صلة بالمهاترات الطائفية في العراق، هو أمر في غاية الصعوبة، لأنه غير موجود بين البسطاء من الشعب، بل بين الطبقات المثقفة، مثل أساتذة الجامعات والكليات والمعاهد وطلبتها والأسوأ من كل هذا، هو تشبث كل طائفة برأيها وتسفيه رأي الطائفة الأخرى بل وزج عقائد بعيدة كل البعد عما تؤمن به، وتقويلها بما لا تؤمن به !!

الالتزام الطائفي في الأوساط المثقفة في العراق بصورة خاصة، سببه الخفي هو الاقتصاد وطلب السند القبلي من الطائفة، أما عامة الناس فليس لديهم اهتمام واضح بهذه المشكلة ولم تؤثر على علائقهم العامة، مثل البيع والشراء والتزاوج بين أبنائهم وخاصة في المدن التي لا تتميز بغالبية إحدى الطائفتين .

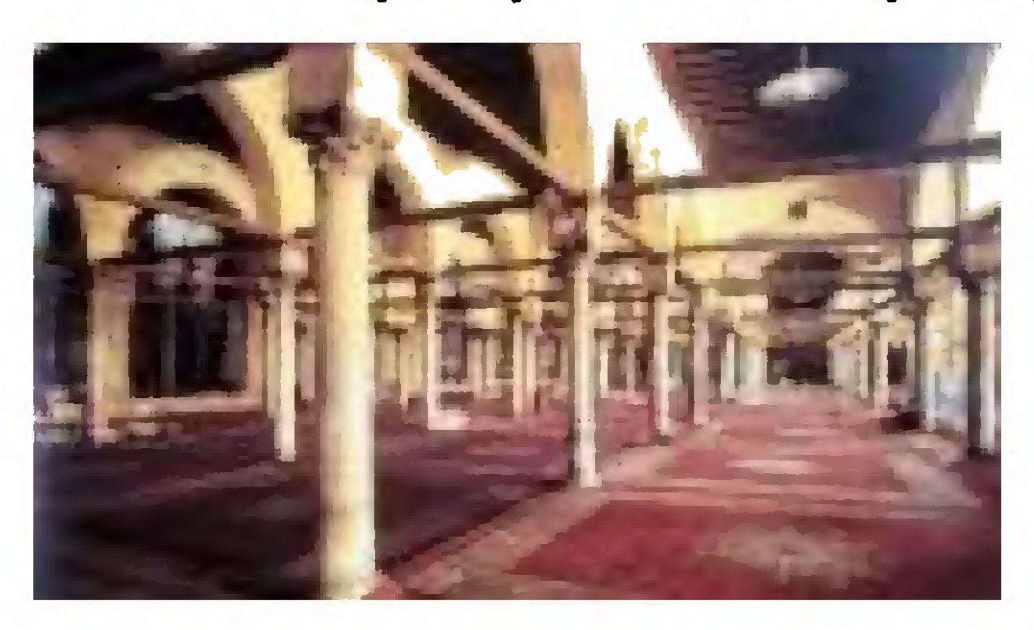
إن التمييز الطائفي في الماضي كان أكثر وضوحاً، إذ كان من النادر دخول السني إلى مساجد الشيعة للصلاة فيها، والعكس صحيح، ولم يكن ذلك الأمر خاضعاً لقانون أو أوامر من القيمين عليها، بل ناتج عن عادات موروثة، إضافة إلى عدم إدانة تلك الظاهرة من قبل المسؤولين، وعلى أية حال، ومنذ العهد الملكي سنة 1921، فإن الطبقة المثقفة من الشعب العراقي من كلتي الطائفتين كانت تظهر سعادتها عندما يدخل مساجدها مسلم من الطائفة الثانية مؤدياً الصلاة فيها أو للمشاركة في المناسبات المفرحة أو المحزنة.

من المؤسف أن نرى الآن، التوجه الثقافي في معظم الدول الإسلامية والعربية، لم

تكن محايدة في الخفاء، أو قل متحيزة بتأكيدها على معلومات دست في كتب الشيعة والسنة تهدف لإشعال الفتنة الطائفية، ... غير آبهة لكل الأصوات الخيرة من كلتي الطائفتين.

ولقد لمست شخصياً مثل تلك الحالة، ففي سبتمبر 1972 في قاهرة المعتز، عاصمة جمهورية مصر العربية، حيث كنت عضواً في مؤتمر علمي ضمن الوفد الليبي لجامعة الفاتح في طرابلس، مع دكتور ليبي وعضوية اثنين من الدكاترة المصريين.

وبعد انتهاء جلسة المؤتمر، تلقى الوفد الليبي، دعوة لزيارة الجامع الأزهر الشهير في العالم الإسلامي، المشيد في العهد الفاطمي (الشيعي)، سنة 972 ميلادية.



جامع الأزهر في القاهرة

رافقنا طالب ماجستير، مصري مكلف من إدارة جامعة الأزهر، ليشرح لنا معالم وتاريخ الجامع منذ نشأته وإلى يومنا ذاك، وفي سياق الشرح وردت كلمة "الشيعة"، وهنا استوقف أحد الزملاء الظرفاء المرشد وقال له : عفواً مين دول الشيعة؟ ثم نظر لي بابتسامة ذات مغزى، وفهمت فوراً قصده من السؤال!

أجاب المرشد على الفور وبحماس شديد: (دول ناس ملحدين، بيعتقدوا أن سيدنا جبريل عليه السلام، أرسله الله تعالى إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، إلا انه اخطأ الطريق وتوجه إلى محمد صلى الله عليه وسلم، ومن ثم عاد إلى حديثه عن الشيعة وراح يسرد كل ما حفظه من مساوئ زجت في الكتب الصفراء المغرضة).

وبعد أن أوشكنا على نهاية تجولنا توقف عن الكلام وطلب منا طرح أي سؤال نرغبه، وعندئذ اقتربت منه وعلى وجهي ابتسامة ممزوجة بالألم وقلت له :

(إنك طالب علم وعلى وشك نيل درجة الماجستير، وعقبال الدكتوراه)، ....ثم ابتسم وأجابني بوابل من كلمات الشكر والامتنان، ..إلا أنني تريثت لفترة قصيرة، ثم راح الزملاء أعضاء الوفد يتطلعون بوجهي الذي ارتسمت عليه علامات الغضب، فتعوذت من الشيطان الرجيم، وبدأت الحديث معه بهدوء لم أعهده في نفسي من قبل في مثل هذه المواقف التي يراد منها تمزيق المسلمين، وإثارة البغضاء والحقد والنعرات الطائفية بينهم.

وجهت كلامي إلى مرشدنا وزملائي من حولي كلهم آذان صاغية وشوق لردي على هذا الافتراء البعيد عن المنطق، وقلت : على طالب العلم أن يتجنب تصديق أي نتيجة علمية ما لم تتثبت صحتها تماماً، ويعضدها أهل الاختصاص، ..... إذن كيف تسول لك نفسك تصديق هذه الرواية المنافية للمنطق والإيمان بالله عز وجل؟ فهل يعقل أن جبريل عليه السلام سها وخالف أمر ربه ولم ينفذ إرادته، وتوجه إلى محمد ﷺ، .... وإذا افترضنا جدلا صحة ذلك، ... ألم يكن لخالق الكون والقادر على كل شيء أن يمنع الوحي ويطلب منه تغيير خط سيره عند وقوع السهو الذي تدعيه !!؟

والأكثر من ذلك والذي يدحض هذا الافتراء أن عليا في ذلك العهد كان في السابعة من عمره، ويعيش برعاية ابن عمه النبي محمد ﷺ، ويعيش معه بنفس داره منذ وفاة والده أبي طالب.

في الحقيقة أصغى الجميع لردي، وكان المرشد في ذهول لما سمعه من حقائق مقنعة، وفي الحال مد يده لمصافحتي واعتذر عن سوء فهمه، ووعدني أن يتحرى عن أية معلومة في المستقبل، وألا يؤمن بها إن لم تكن موثقة من علماء أجلاء مرموقين معترف بهم ولهم مؤلفات معتمدة في الجامعات العالمية.

ودعنا ذلك المرشد وشكرنا جهوده، وخرجنا في نزهة بالقرب من المنطقة، فقد قدم لنا أحد المصريين من أعضاء الوفد دعوة لتناول طعام الغذاء (فته)، في أحد المطاعم الشهيرة قرب مسجد سيدنا الحسين عليه السلام.

أعود لمزاعم ادعت وجود (قرآن خاص بالشيعة)، .. واستطيع تفنيد ذلك وعدم وجود أي نوع آخر للقرآن، فلقد نشات واختلطت بالعديد من الأصدقاء أولاد علماء أجلاء من كلتي الطائفتين لكن أي منهم لم يعرض علي نسخة من ذلك القرآن المزعوم، كما أنني دخلت العديد من المكتبات العالمية في إنكلترا وروسيا وأمريكا وكندا ولم أعثر على أي قرآن غير القرآن المنزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

إضافة إلى ما ذكرته أعلاه، فإن التعصب الطائفي يعمى العيون والقلوب، ويدفع الإنسان نحو طريق مظلم يفقده إنسانيته وسعادته، كما أن هذه الظاهرة استغلها تجار السياسة كورقة للعواء وبث سموم التفرقة بين المسلمين عند توفر الظروف الملائمة، وسوف يتوقفون بعض الوقت عندما يواجهون ظروفاً غير ملائمة، وإنها ستزول وتتحطم إن هي واجهت قادة بقلوب نظيفة وخالية من الكراهية والحقد والضغينة.

وفي كل العهود، قبل سقوط النظام في التاسع من نيسان، وليس سقوط بغداد، ... لأن بغداد لا تسقط أبداً، وستظل عاصمة الرشيد، وأردد مع الرصافي:

إليك إليك يا بغداد عني

فإني لست منك ولست مني

ولكني وإن كبر التجني، .

.يعز علي يا بغداد أني

أراك على شفى هول شديد

في الواقع، سوف لن يجد الزائر الغريب أي مظهر من مظاهر الطائفية في المقاهي أو في الأسواق التجارية الشعبية عند كلتي الطائفتين، ويمكنني التأكيد على اختفاء أي صراع أو شجار بين إتباع الطائفتين في المدن التي تضم نسباً مختلفة من أتباع الطائفتين. وعلى أية حال، لا يمكن الادعاء بوجود علاقات حميمة بين السنة والشيعة كما هو الحال بين مذاهب الطائفة السنية المعروفة مثل، الشافعي والحنفي والمالكي والحنبلي، بالرغم من تعدد مرجعيات تلك المذاهب.



نموذج لبوابة عشتار أمام المتحف العراقي.

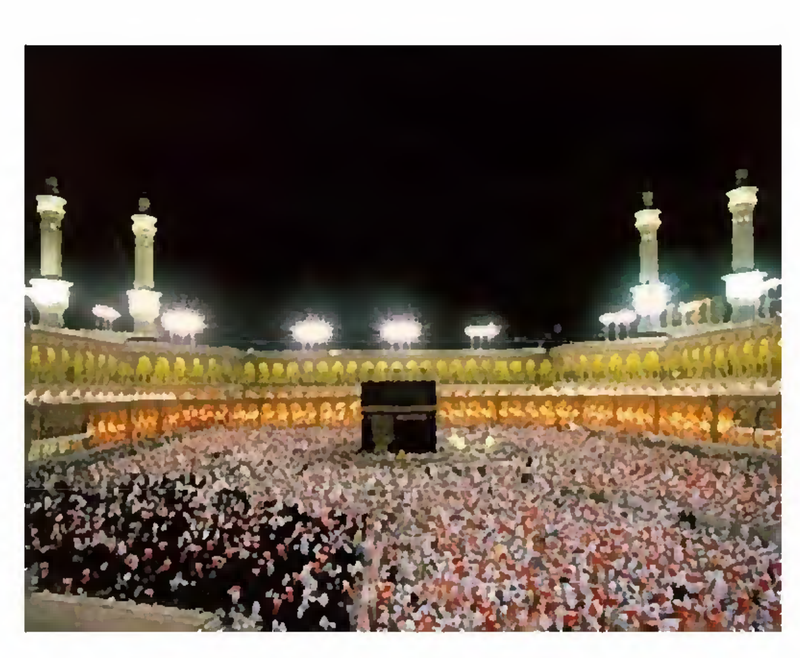


القرآن الكريم

منشأ الطائفية منذ العهد الإسلامي

Denominationalism in Islamic Period

نشأت الطائفية في العصر الإسلامي أولاً، في فترة الحرب الأهلية (الفتنة الكبرى)، التي مزقت المجتمع الإسلامي في سنة 656 ميلادية، وعلى أية حال، فقد برزت فئة مميزة في التاريخ الإسلامي، ومتمسكة بموقفها المتعلق بالقائد الإسلامي، والذي يجب أن يكون من سلالة النبي محمد ﷺ، أي من أهل البيت، رضوان الله عليهم. إلا أن طموحات أصحاب رسول الله ﷺ ، وهم أبو بكر وعمر وعثمان ﷺ ، منعوا تلك الفئة من تحقيق رغبتها، وبويع أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، كأول خليفة للمسلمين.



الكعبة المشرفة في مكة المكرمة.

إن المنشأ الحقيقي للطائفية تفجر بشكله الواضح عند مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عثمان ﷺ، وقد تبع ذلك اختيار علي بن أبي طالب ﷺ، كخليفة للمسلمين، إلا أن ذلك سرعان ما جابه معارضة شديدة من قبيلة عثمان ﷺ، والمقربين منه أثناء حكمه مثل طلحه والزبير، إضافة إلى السيدة عائشة، زوجة النبي محمد (رضى الله عنهم أجمعين).

اندلع الاحتجاج ضد الأمام علي ﷺ، وسبب اشتعال الحرب بين أتباع الإمام علي ﷺ، المتمركزين في مدينة الكوفة، عاصمة الخلافة الجديدة، ضد القوى المعارضة المتمركزة في البصرة (ثاني كبرى المدن العراقية)، وفي الشام.

انتصرت القوى المساندة للإمام علي كرم الله وجهه، وقتل طلحة والزبير، وأسرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، وأعيدت معززة ومكرمة إلى دارها في مكة المشرفة.

وفي السنوات اللاحقة، تغير اتجاه الريح ضد جيش الأمام علي ﷺ، حيث خسر القطعات التي شاركت في معركة صفين في الصحراء السورية أمام قيادة معاوية بن سفيان ﷺ، والي الشام الذي أبى مبايعة الخليفة الرابع المنتخب، علي بن أبي طالب ﷺ بعد مقتل الخليفة عثمان ﷺ.

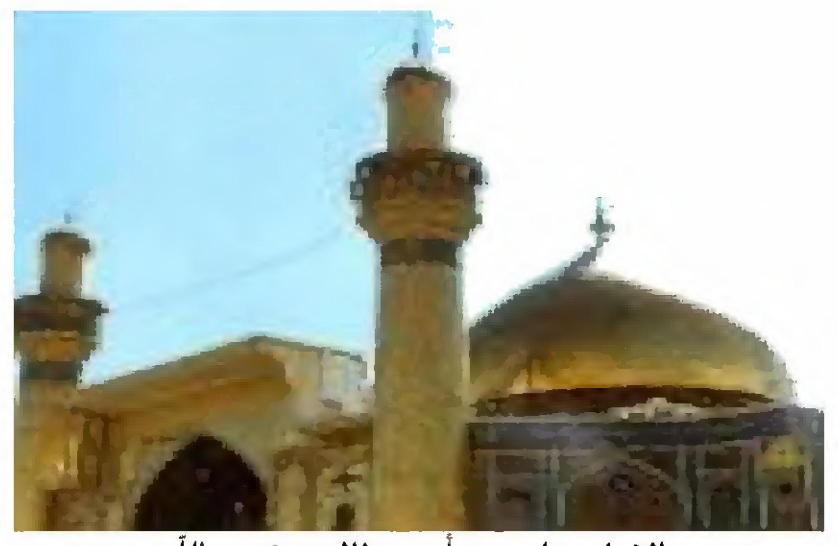


ضريح الإمام الحسين عليه السلام في كربلاء.

وعلى أية حال، فإن نتيجة تلك الحرب قد أغضبت المجموعات الحربية التي ساندت الخليفة الإمام علي بن أبي طالب ﵁ ، وجعلتهم أعداءً له، وقد أطلق عليهم اسم (الخوارج). رجع الإمام علي ﵁ ، إلى الكوفة وتصدى وشتت جيش الخوارج في منطقة النهروان سنة 658، وبعد ثلاث سنوات، أي سنة 661، اغتال الخوارج الإمام علي ﵁ ، في الكوفة، وقد بايع أنصار الإمام علي ولده البكر، الأمام الحسن ﵁ ، ليخلف والده كقائد لهم، إلا أن الحسن ﵇، سرعان ما عقد هدنة مع والي الشام معاوية بن أبي سفيان ﵁ ، وتنازل له عن الخلافة، وبهذا يمكن القول أن الحرب الأهلية قد انتهت، عملياً، إلا أن الأحقاد تسترت بأقنعة مختلفة، واستمر دخانها إلى يومنا هذا، ولا يمكن التكهن بنهايتها.



مسجد ابوحنيفه ﵁ ، في الأعظمية / بغداد



مسجد الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه

من هم الشيعة؟

Who is Shiite ?

يعتبر المسلمون الشيعة ثاني أكبر تجمع إسلامي في العالم، حيث السنة هم الأكثرية، إلا أن نسبتهم هي الأكبر في العراق والجمهورية الإسلامية في إيران، وكلمة الشيعة تعني الناس الذين ناصروا الإمام علي (كرم الله وجهه)، وعائلته عليهم السلام أجمعين.

واستنادا إلى أدبيات الشيعة، فمن المفروض أن يتولى الإمام علي ﵁ ، قيادة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ، في سنة 632 م. وعلى أية حال، فإن المسلمين وأصحاب رسول الله (رضي الله عنهم جميعاً)،

اتفقوا على أن يكون الصحابي، أبو بكر الصديق ﵁ ، أول خليفة للمسلمين، وتبعه بعد وفاته، الصحابي عمر بن الخطاب ﵁ ، ثم خلفه الصحابي عثمان بن عفان ﵁ ، وبعد اغتياله على يد جماعة إسلامية منشقة، بويع علي بن أبي طالب ﵁ ليكون الخليفة الرابع، ويمكن اعتبار ذلك الحدث بداية لتاريخ التشيع.

كان عثمان بن عفان ﵁ ، من أبرز شخصيات العائلة الأموية المتصل نسبها بقريش، وأسلم مبكراً، وكان متزوجاً من ابنة النبي محمد ﷺ، وعندما تولى الخلافة، عين العديد من أقاربه في المناصب الحساسة في الدولة كولاة في المقاطعات الجديدة، وقد واجه انتقادات قاسية لمحاباته أفراد أسرته.

وعندما تولى علي بن أبي طالب ﵁ ، الخلافة، واجه معارضة شديدة من الأمويين، من أبرزهم طلحة والزبير وأم المؤمنين عائشة (رضوان الله عليهم أجمعين)، منذ اندلاع المعارك بين أتباع الخليفة المنتخب الإمام علي (كرم الله وجهه)، ووالي الشام معاوية بن أبي سفيان ﵁ ، والذي أبى مبايعة الخليفة الجديد وأعلن استقلاله عن مركز الخلافة الإسلامية.

كان الشيعة من أهم الموالين للخليفة الجديد، علي بن أبي طالب ﷺ، بسبب ما اتصف بها من صفات مميزة في المعارك التي خاضها المسلمون في بداية الدعوة الإسلامية.

كما أنه تميز في الفقه والقضاء، إضافة إلى كونه بن عم رسول الله محمد ﷺ، وزوج ابنته البتول فاطمة الزهراء رضي الله عنها. وعلى أية حال، فقد ظهرت مجموعات معينة في التاريخ الإسلامي أعلنت ولاءها لأهل البيت وإصرارها على كون الخليفة واحد من عائلة النبي محمد ﷺ.

إن من أهم معتقدات الشيعة وجوب حصر الإمامة في ذرية النبي محمد ﷺ، وقد ورد ذلك في أدبيات الشيعة ولم تعترف الكوادر السنية بمثل ذلك الادعاء في جميع مرجعياتهم، ومن أبرز الأمثلة التي وردت في أدبيات الشيعة هي أقوال الرسول ﷺ :

1- إني تركت فيكم الثقلين الثقلين، كتاب الله وعترة أهل بيتي.
2- هذا مولى من لا مولى له، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه.
3- أقضاكم علي.

والنص الثالث، يوضح معنى الإمامة، حيث لا معنى لها إلا القضاء بأحكام الله وهو المقصود بأولي الأمر الواجب طاعتهم، استنادا إلى الآية الكريمة: ﴿ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾ ، والمقصود بأولي الأمر هو الحكام والقضاة، وأما (الخليفة)، في الإسلام، وبعد وفاة الرسول محمد بن عبدالله ﷺ، فقد كانت الأمة تنتخبه وتحاسبه وتنتقده وتقوم فيه أي اعوجاج في أحكامه.

ويذكر أن أحد الأعراب المسلمين قال للخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه :
إذا رأينا فيك اعوجاجاً قومناك بحد السيف .

وقد اختلف المسلمون في تفسير (الموالاة)، فمنهم من قال: السير على خطى الرسول، ومنهم من فسرها كوصية إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، بالخلافة.

هناك فرق بين معنى الإمامة والخلافة، فالأولى تبين أن الشخص الذي تولى ذلك المركز كان الإمام علي (كرم الله وجهه)، وبتزكية الرسول محمد ﷺ، وإن كل من أتي بعد

وفاته كان من سلالة آل البيت (رضوان الله عليهم أجمعين)، إلا أن الخليفة انتخب من بين المسلمين، وقد حدث ذلك لأول مرة بعد وفاة الرسول ﷺ، ثم صار ذلك الحدث قانوناً عندما انتخب المسلمون الصحابي أبا بكر الصديق رضي الله عنه ، كأول خليفة، وتبع ذلك، الخليفة الثاني والثالث والرابع (رضوان الله عليهم أجمعين)، ولكن بعد مقتل الخليفة الرابع، الإمام علي بن أبي طالب على يد بن ملجم، ثبت معاوية بن سفيان والي الشام المنشق عن مركز الخلافة، نفسه ليكون الخليفة الجديد للمسلمين. ولما استقر الحكم له، حول ذلك النظام إلى الملكية.

لكل مسلم في نظام الشورى، حق الكلام وتوجيه النقد إلى الخليفة، إذا ما تصرف ذلك الخليفة بأي عمل منافٍ للقواعد أو النصوص الإسلامية التي نص عليها القرآن الكريم أو السنة النبوية، لأن الخليفة وصل إلى مركزه عن طريق الانتخاب المباشر، أي الشورى، ولهذا وجب عليه سماع أصوات الناس، لأنه خاضع لمحاسبتهم.

كانت العلاقة بين الخلفاء الراشدون ممتازة، وتمت بينهم علائق حميمة ومودة، وخاصة بين الخليفة عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب (رضوان الله عليهما)، فقد ثمن عمر رضي الله عنه ، قيادة الإمام علي ووصفه بالقائد الروحي للمسلمين، وقد ورد في كلامه الشهير عندما أفتى الأمام علي في احد المسائل التي استعصت عليه وقال: (لولا علي لهلك عمر).

جمع السيد الشريف الرضي كلام الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، في كتابه الموسوم (نهج البلاغة)، وقد ورد فيه أقوالاً تؤكد قيادة الإمام علي الروحية، مثال ذلك:

1- نور الوحي والرسالة. لم يجمع بيت واحد في الإسلام غير رسول الله ﷺ، وخديه وأنا ثالثهما، أرى نور الوحي والرسالة.

2- يا علي إنك تسمع ما أسمع وترى ما أرى، ألا إنك لست بنبي ولكنك وزير وإنك لعلى خير.

انبثقت الطائفة الشيعية كحركة سياسية خلال أكبر حرب أهلية، دعيت بالفتنة الكبرى، والتي يعزى لها تمزيق المجتمع الإسلامي في سنة 656-661 ميلادية.

وعلى أية حال، فإن المراجع الدينية المعتمدة أكدت على أن تاريخ تفجر الحركة الشيعية بشكلها الواضح كان متزامناً مع اغتيال الخليفة الثالث، عثمان بن عفان ﷺ، والذي يعتبر من الطبقة الارستقراطية من قبيلة قريش، وزوج بنت رسول الله ﷺ، رقية رضي الله عنها، وبعد وفاتها تزوج من أختها أم- كلثوم رضي الله عنها.

عمل الخليفة عثمان رضي الله عنه، على تعيين العديد من أقاربه في مناصب مرموقة سببت له النقد. ومع كل ذلك، استمر المسلمون على نهج الخلافة لغاية السنة 41 الهجرية، عندما تنازل الحسن بن علي بن أبي طالب، عليهما السلام عن الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، من أجل منع القتال بين المسلمين، وبشرط عودة نظام (الشورى)، بعد موت الخليفة الحالي وتعيين الخليفة الجديد، وعلى أية حال، فإن معاوية رضي الله عنه، لم يلتزم بوعده، وبدل نظام الشورى إلى النظام الملكي، وقد أدى ذلك إلى المقاومة بين جند الإمام علي وبين جنود معاوية.

النظام الأموي الجديد

New Umaya Regime

عمل معاوية على تثبيت ابنه يزيد كأمير وولي عهده، ليحكم الدولة الإسلامية بعد وفاته، ولهذا، يمكن اعتبار نهاية النظام الإسلامي، كما ذكر في القرآن الكريم. ولسوء حظ المسلمين، فإن تلك الحالة لم تتوقف عند هذا الحد، وإنما استمرت وزاد الصراع بين المجتمع الأموي وشيعة الإمام علي ﷺ ، ثم تفجر التذمر وصار علنياً بين المسلمين قاطبة، إلى درجة أن شرارة الطائفية قدحت والتهبت وأحرقت كل ما حولها من القيم الأصيلة للنظام الإسلامي، وفاحت روائحها التي مازلنا نعاني منها إلى يومنا هذا !!

فقد ولد في الشام نظام ثبت ظروفاً جديدة وخاصة في مساجد السنة، حيث راح خطبائها يناقضون أقوال الرسول محمد ﷺ في حب آل البيت، واستبدلوها بالشتيمة من على منابرهم في خطبة الجمعة، لكي يزيلوا معتقد الشيعة بتعيين الرسول ﷺ، علياً بن أبي طالب ﷺ ، ليكون إماما للمسلمين.

استمرت هذه الحالة، وأدت إلى تفاقم الفساد رويداً رويداً، لحين تولي يزيد بن معاوية بن أبي سفيان سدة الحكم، وأكمل رسالة والده تجاه آل البيت، رضي الله عنهم جميعاً.

ففي يوم عاشوراء (اليوم العاشر من محرم)، قتل جيش يزيد بن معاوية عائلة الإمام الحسين عليه السلام، الابن الثاني لعلي بن أبي طالب ﷺ ، وسبط الرسول محمد ﷺ، ولم يبق منهم إلا زين العابدين، الابن الأصغر للحسين، حيث كان مريضاً طريح الفراش.

إن فكرة مزج الخلافة والإمامة، التي طبقها معاوية بن أبي سفيان في الشام، انبثقت ثانية في نظام العباسيين في بغداد واستمرت لأكثر من ألف سنة.

خلال تلك الفترة، تحول النظام في الدولة الأموية والعباسية إلى الملكية، إلا أن الأقلية من المسلمين (الشيعة)، كانوا يطالبون بالعودة إلى نظام الشورى الذي نص عليه القرآن الكريم لانتخاب الخليفة، إلا أنهم واجهوا معارضة من الأغلبية المسلمة، (السنة).

الطوائف الشيعية

Kinds of Shiite Denomination

الإمامية:

هم المسلمون الذين يملكون الأدلة على تعيين الإمام علي ﵁ ، للخلافة بعد وفاة الرسول ﷺ، والمعترضين على خلافة الشيخين أبي بكر ﵁ ، وعمر بن الخطاب ﵁ ، لأنهما لم يبايعا علي بن أبي طالب ﵁ ، وانتخب أبو بكر بالشورى من قبل أكثرية المسلمين على أثر إعلان وفاة الرسول محمد ﷺ وهو بدوره زكى الصحابي عمر ﵁ ، ليخلفه بعد وفاته، إلا أن نصوصا أخرى بينت تعيين علي بن أبي طالب ﵁ ، كخليفة للمسلمين، بالوصف لا بالتشخيص، ثم نقلوا الإمامة إلى ابنه الحسن ؈، ثم إلى أخيه الحسين ؈، ثم إلى ابنه زين العابدين ؈، ثم إلى ابنه محمد الباقر ؈، ثم إلى ابنه جعفر الصادق.

الإسماعيلية:

الإسماعيلية تمثل أكبر تجمع للشيعة بعد الإثنى عشرية، وقد انتشروا في أكثر من خمسة وعشرين قطراً في آسيا والشرق الأوسط وأفريقيا وأوربا وشمال أمريكا.

انقسم الإسماعيليون إلى عدة أقسام ومجموعات خلال تاريخهم المعقد، وهم يدينون بالاعتراف بهم إلى عدد من الأئمة من ذرية إسماعيل بن جعفر الصادق عليهما السلام، ثم انتقالها إلى محمد المكتوم ؈، وبعده إلى ابنه محمد الحبيب ؈، ثم إلى ابنه عبدالله المهدي ؈.

تطلق على الإسماعيلية أسماء أخرى مثل:

الباطنية : نسبة إلى قولهم بالإمام المستور.

الملحدة : نسبة إلى أفكارهم التي تحتوي على الإلحاد، والتي سادت في آخر المئة الخامسة للهجرة بين الملوك الأتراك بمصر والملوك التتار في العراق ثم انقرضت.

الإثنى عشرية :

يشمل هذا المصطلح أكثرية الشيعة في العالم، ومن أهم ما تميزت به مرجعية هذه الطائفة، هو إقرارها بتعاقب الأئمة أحفاد الرسول محمد ﷺ، من آل البيت رضوان الله عليهم أجمعين، حيث انتقلت المرجعية عبر فاطمة الزهراء رضي الله عنه ، ابنة رسول الله ﷺ، وزوجة الإمام علي رضي الله عنه ، وإن مصطلح الإمام يعني الشخص الذي يتميز بروح المسلم الحقيقية.

اعتبرت الشيعة الإثنى عشرية، علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، أول إمام، ثم انتقلت الإمامة منه إلى ابنه الأكبر الحسن عليه السلام، ثم إلى ولده الثاني الحسين عليه السلام، ثم إلى زين العابدين عليه السلام، ثم إلى ابنه محمد الباقر عليه السلام، ثم إلى جعفر الصادق عليه السلام، وقد أقرت هذه الطائفة بإمامة موسى الكاظم رضي الله عنه بن جعفر الصادق عليهما السلام، لوفاة أخيه الأكبر إسماعيل عليه السلام، في حياة أبيهما جعفر الصادق عليه السلام، ثم انتقلت إلى ابنه علي الرضا، (الذي تعهد له المأمون بالخلافة بعد وفاته، إلا أنه توفى قبله ولم يتحقق وعد المأمون)، ثم انتقلت إلى ابنه محمد التقي عليه السلام، ثم إلى أبنه علي الهادي عليه السلام، ثم إلى ابنه الحسن العسكري عليه السلام، ثم إلى ابنه محمد المهدي المنتظر عليه السلام الذي تغيب عندما كان بن الخامسة من عمره وسيخرج في آخر الزمان ويملأ الأرض سعادة وعدلاً، ولذا أطلق عليه لقب (صاحب الزمان)، أو المهدي المنتظر.

الزيدية :

تقر هذه الطائفة، بإمامة الإمام علي رضي الله عنه ، ومن بعده ابنه الحسن عليه السلام، ومن بعده الابن الثاني الحسين عليه السلام، ثم ابنه علي بن الحسين (زين العابدين)، عليه السلام، ثم ابنه زيد بن علي عليه السلام، وهو صاحب هذه الطائفة التي تعتبر فرع من الطوائف الشيعية، وقد اكتسبت اسمها من اعتقادها وإقرارها بإمامة زيد بن علي، الذي أعلن في الكوفة.

إن سجية الأمام عند الطائفة الزيدية تتعلق بقابليتها لاكتساب بعض مصادر قوتها السياسية من الأحاديث النبوية وأقوال الأمام علي ﷺ، لدى بعض اليزيدية. كما أنه في بعض الأحيان وجد أكثر من إمام، ..وكل منهم يقود مقاطعة إسلامية في أجزاء مختلفة من العالم. حدثت هذه الحالة في القرن العاشر.

تاريخياً لم تظهر الزيدية أية رغبة في نقد أو لوم الصحابة، أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم أجمعين. وعلى أية حال، فإن الإمامية الزيدية استمرت بصورة جيدة في القرن الثاني عشر، ويعود ذلك إلى السلوك الرائع لدى الإمام يحي حميد الدين.

الكيسانية

هم الذين أناطوا الإمامة من بعد محمد بن الحنفية إلى ابنه أبي هاشم، وهؤلاء هم (الهاشمية)، ثم اختفوا، فمنهم من أناط الإمامة بعد محمد بن الحنفية إلى أخيه علي ثم إلى ابنه الحسن، وآخرون يزعمون، أن أبا هاشم قد أوصى بالخلافة إلى محمد بن عبدالله بن عباس إلى ابنه الملقب الذي أوصى إلى أخيه عبدالله بن الحارثية الملقب بالسفاح، وهذا أوصى إلى أخيه جعفر عبدالله أبي جعفر الملقب بالمنصور، ثم انتقلت إلى أولادهم مؤسسي الدولة العباسية.

الرافضة

وهم الذين تجاوزوا حد العقل فقالوا بألوهية الأئمة، أو أنهم بشر اتصفوا بصفات الألوهية، أو أن الإله حل في ذواتهم البشرية، وهو قول مطابق لقول النصارى في عيسى عليه السلام، وقد تصدى لهم الإمام علي وأراد حرقهم، فقالوا له: إنك تحيي وتميت!

الغلاة

وهم الذين يقولون: إن كمال الإمام لا يكون لغيره، فإذا مات، انتقلت روحه إلى إمام آخر، وهذا مشابه للتناسخ. ومنهم من يدعي عدم موت الإمام، إلا أنه يختفي عن أعين البشر، ويستشهدون بقصة الخضر عليه السلام، كما في سورة الكهف، آية (65-85).

من هم السُنة؟

Who is Sunni?

الطائفة السنية، هي أكبر الطوائف في العالم الإسلامي، التي اعتقدت وطبقت نظام الشورى (البرلمان)، والذي كان الأساس في تعيين الخلفاء وسن القوانين، حيث اتبعته هذه الطائفة لانتخاب خليفة المسلمين بعد وفاة الرسول ﷺ. وعلى أية حال، فقد بين أهل السنة على أنهم "الأتباع الحقيقيون لرسول الله" أي الذين اتبعوا سنته.

لغوياً، تعني السُنة "مصدر القوانين الإسلامية"، .. كما أن أهل السنة يعترفون بالخلفاء الراشدين الأربعة الأوائل وهم: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم جميعاً.

إن المرجعية لأهل السُنة بصورة عامة تأمر بوجوب إتباع أقوال الرسول محمد ﷺ، وإن تطبيق السُنة نشأ مع صحابة رسول الله ﷺ، منذ القرن التاسع.

اسم "سُنة"، مشتق من الفعل، " سن " أي "شرَّع" ويبين التطبيق العملي الذي يرسمه الشخص المختص. وفي الحقيقة، فإن الفكرة العربية القديمة للسنة، مرتبطة بالشخص المطبق لتلك السنة.فمن المعلوم، أن لكل شعب سنة، وقد تكون جيدة أو رديئة. ولهذا، فإن المسلمين الأوائل، رفضوا السنة الرديئة التي طبقها العرب قبل الإسلام. فقد كان من الطبيعي، عند ظهور النبي محمد ﷺ، والقرآن الكريم، الذي يدعوا إلى إطاعة الله ورسوله، فقد أيقن المسلمون أن أحاديث النبي ﷺ، هي مصدر السُنة وهذا يمثل حالة طبيعية، إضافة إلى أحاديث الخلفاء الأربعة الأوائل وأصحاب الرسول ﷺ، ولذا فالسُنة بصورة عامة أصبحت مصدراً لإدارة شؤون الدولة الإسلامية.

ينظر إلى السُنة النبوية على أنها هي أساس العدل والحق والسلوك الصالح من دون الحاجة إلى تقارير وأحاديث المرجعية.

فقد كانت تشريعات بعض المسلمين الأوائل عملياً هي طبقاً لأحاديث مطلقة. فمالك بن أنس عليه السلام، 795 ميلادية، وضع كتيباً للقوانين الإسلامية المستندة على السنة، إلا أنه كان معتمداً على مصادر السُنة لمسلمي المدينة أكثر من اعتماده على الأحاديث.

خلال حياة محمد بن أدريس الشافعي، الضليع بالقانون، سنة 820 ميلادية، طبق مبكراً أفكارًا في السُنة مازالت مستمرة ليومنا هذا، إلا أنها خضعت للتغيير، وقد دون الشافعي مناقشة لتعريف السُنة تحتوي على ثلاثة أجزاء:

أهل الكلام:

وهم الذين لا يثقون بالأحاديث، ويناقشونها من أجل إتباع السنة النبوية وتبسيطها لتكون مطابقة للقرآن الكريم.

أهل الرأي:

وهم يمثلون المدرسة الإسلامية، التي تعترف بمسؤولية السنة النبوية نظرياً، ولكنهم يتعارضون مع الحديث ويبدون ارتياحاً مع مصادر أخرى.

وهم الذين مثلهم الشافعي رضي الله عنه ، الذي ناقشهم وبين لهم أن السنة يمكن معرفتها من الحديث الموثوق به والمستمد أثره من أصحاب رسول الله (رضي الله عنهم جميعاً).

كما أن بعض المسلمين الأوائل اعتبروا الرسول محمد ﷺ، هو مصدر التشريع (السنة)، وأن ارتباط السُنة لم يقتصر على الرسول محمد ﷺ فقط، بل شمل الخلفاء الراشدين الأربعة (رضوان الله عليهم)، وأصدقاء رسول الله، ﷺ.

الأفكار الأولية للسنة ظلت مستمرة منذ نشأتها، إلا أن بعض مدارس الفقه الإسلامي غيرت تفسيرها بعد عدة سنوات. وعلى أية حال، فإن تأثير السنة على القوانين الإسلامية والموالين لها كان قوياً، مما ساعد على تثبيت الإسلام.



تأدية الصلاة في ساحة أحد مساجد السنة

العبادات

Obligations of Muslims?

خصصت الشريعة الإسلامية نوعين من التطبيقات العملية:

أ - العبادات المعنوية: وهي جزء من الشريعة الذي يربط العلاقة بين الله سبحانه وتعالى، وبين الكائن البشري.

ب- الأخلاق الاجتماعية: ويقصد بها التطبيق العملي بين البشر.

تشتمل العبادات على ما يلي:

- **الشهادتان**: فعلى المسلم قول" أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله".
- الصلاة: ويجب تأديتها في الأوقات التالية، "الفجر، والظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء.
- **الزكاة** : (وهي ما نسبته اثنان ونصف في المئة من صافي الربح السنوي الذي يجنيه المسلم من تجارته أو زراعته أو صناعته، وتدفع لبيت مال المسلمين) التنظيم المتعلق بهبة العينات المادية أو النقود التي يجب أن يدفعها الشخص المتمكن إلى الفقراء. ووقت دفعها وتحديد قيمها يخضع إلى تعليمات محددة، مثال ذلك، زكاة الفطر يجب أن تدفع أول أيام الفطر، وتجدد قيمتها وفق الأسعار المتعارف عليها في تلك السنة.
- **الصوم**: ويعني الامتناع عن الأكل والشرب من شروق الشمس إلى مغيبها، والابتعاد عن كل ما حرمه الله في شهر رمضان من كل سنة وفق التقويم الهجري.
- **الحج** : ويقصد به زيارة بيت الله في مكة المكرمة والطواف حول الكعبة المشرفة، والوقوف في عرفات والمزدلفة ومنى وفق طقوس وأوقات محددة في الشريعة الإسلامية.

العبادات المذكورة أعلاه تشكل أركان الإسلام الخمسة. واستناداً إلى الشريعة الإسلامية، فإن الإنسان خلق لكي يعبد الله. كما أن الواجبات الدينية دونت بشكل لا غموض فيه في القرآن الكريم وسنة رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم.

ولقد أثبت القرآن الكريم أن الدين عند الله هو الإسلام، كما في السورة 3 والآية 19. ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿١٩﴾ ﴾ (آل عمران: ١٩).

الإنسان المسلم هو الذي يؤمن بالقرآن الكريم وبأن محمداً رسول الله.



الكعبة المشرفة

معنى الجهاد

Meaning of Jihad

أصل كلمة الجهاد مشتقة من المصدر "جاهد"، والتي تعني ناضل أو كافح، أو المحاولة الصعبة. كما أن كلمة الجهاد، قد تعني التحدي لاستحواذ شيء ما.

ورد الفعل "جهاد" مرتين في القرآن الكريم:

1- عندما شرح محاولة الأبوين المشركين لإقناع الأطفال المؤمنين بالإسلام للعودة إلى الشرك، كما في الآية الكريمة التالية رقم 8 ، في سورة رقم 29 " العنكبوت":

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ .

2- في سورة " لقمان"، رقم 31، آية 15 :

﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ﴾.

كلمة "الجهاد"، ارتبطت في المراجع الإسلامية مع عبارة "في سبيل الله"، والتي تعني المقاومة بعنف لأي سلوك مخالف لله. وخلال المرحلة الأولى للرسالة النبوية استعمل، "الجهاد" من أجل ترسيخ إخلاص الإنسان، ليقف باتجاه أعداء الإسلام.

كما أن القرآن الكريم قد نصح المسلمين بعدم الإصغاء إلى المشركين والجهاد ضدهم بأقصى مقدرة للتصدي، كما ورد في القرآن الكريم، سورة الفرقان رقم 25، آية 52: ﴿ فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾

وعلى أية حال، لا توجد وثائق تدل على أوامر من الرسول ﷺ، يطلب فيها من أتباعه الاعتداء على معارضيهم، فالجهاد في تلك الفترة كان يعني المقاومة غير العنيفة.

بعد هجرة الرسول محمد ﷺ، إلى المدينة، فإن آيات الجهاد تزايدت، وكانت حتى ذلك الوقت قد فهمت على أنها المرجع إلى النضال الغير عنيف.

إن العديد من المشرعين يعتبرون أن القرآن الكريم هو المصدر الأول لهذا الموضوع، وأنه يسمح للمسلمين بالانتقام من الذين يهاجمونهم ويضطهدونهم ويضايقونهم باستمرار، كما ورد في سورة الحج، (رقم 22، آية 39) التالية :

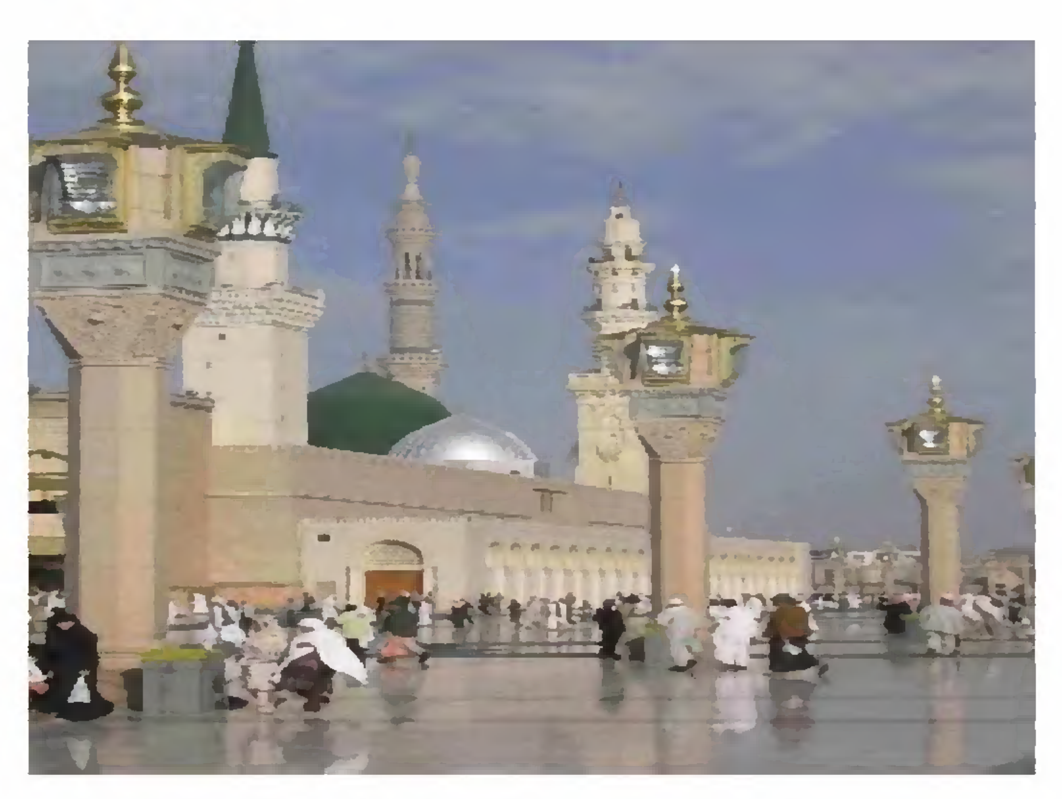
﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾.

على أية حال، توجد سور أخرى مثل سورة البقرة، رقم 2، آية 190، وهي كالآتي:
﴿ وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾ ﴾
كما توجد آية أخرى مماثلة لما ورد أعلاه، كما في آية رقم 191 سورة البقرة، كالآتي:
﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ ﴾.

قرار المشرعين قد حد من استخدام أنواع مختلفة من الجهاد وكلها يمكن جمعها في مجموعتين رئيسيتين، جهاد الروح وجهاد البدن.

- جهاد الروح: يشمل روح الفرد نفسه، التي تكبح بل وتحارب الرغبات الشريرة التي يزينها له الشيطان الذي يحاول زرع الشك والفوضى ليقود المؤمن إلى الظلال.
- جهاد البدن: قد يوجد عند المؤمن خارج المؤسسة الإسلامية، وعليه علامة من القلق وبوجهين خلال تطور المسلم.

على أية حال، واعتمادا على القيم الإسلامية، فالجهاد وفق ما جاء في القرآن الكريم، يأمر المسلم بالاستقامة ويحرم عليه فعل أي خطأ، ويؤكد على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.



المسجد النبوي في المدينة المنورة

فعند حدوث المعارك بين المسلمين وأعدائهم، فلا يسمح لجنود الإسلام بمهاجمة النساء والأطفال، بعض المشرعين أضافوا إلى ذلك أيضاً كبار السن والمخبولين والفلاحين وغير المجندين من الذكور الذين لم يدخلوا ساحة الوغى. كما أن المشرعين سمحوا باستخدام مختلف الأسلحة والخطط العسكرية والوظائف الضرورية للتغلب على الأعداء، وإضافة إلى ذلك سمح بالحصار والرمي بالمنجنيق، وقطع مصادر المياه، وإغراق الأراضي. وهناك حالات استثنائية معينة كانت محرمة من قبل الرسول محمد ﷺ، مثل قتل الجريح وحرق الشخص حياً ونقض المعاهدات والاعتداء على المبعوثين العسكريين.

الزواج المؤقت

Temporary Marriage

اهتم الإسلام بالمرأة لكي يضمن حقوقها المنتهكة في العهد الجاهلي. وعلى أية حال، فإن القرآن الكريم اشترط المساواة في الحقوق بين المرأة والرجل، من أجل ضمان حقوقها المادية والاجتماعية.

ظهرت مسميات عديدة للزواج المؤقت مثل زواج المتعة، والمسيار، والسري، وقد حرم الإسلام هذه الأنواع من الزواج كتحريمه للخمر والميسر، إلا أن القلة من المسلمين غير الملتزمين بتطبيق التعاليم الإسلامية المفيدة تمسكوا بتلك العادات الرديئة التي عمل بها في فترة معينة ثم حرمت فيما بعد.

استمر هذا النوع من الزواج بشكله السري لغاية السنة 329 هجرية، ثم أصبح شائعاً عندما أراد الخليفة العباسي في بغداد أن يستخدم هذه الظاهرة لتحطيم شرف المرأة الشيعية وإظهارها كعاهرة في نظر المجتمع. وعلى أية حال، فإن بعض الوعاظ من شيوخ الدين المتنفذين تبنوا هذه الظاهرة المقيتة في تلك الحقبة من الزمن، لكي يضمنوا الحق في الاستحواذ على أكبر عدد من النساء في بيوتهم.

إن ظاهرة الزواج المؤقت حطمت شرف العديد من العوائل منذ ذلك العهد وإلى يومنا هذا. كما أن هذه العادة الرديئة دفعت بالمسؤولين في بعض الأقطار العربية إلى تخصيص بيوت خاصة لتقديم المتعة للرجال التواقين لممارسة الجنس مع نساء من نوع خاص يمتهن أقدم مهنة عرفها التاريخ. ومن الجدير بالذكر أن تلك البيوت ادعت أنها تمهد للنساء والرجال مناخاً مناسباً للتعارف قبل الزواج !

........ولكن حقيقة الأمر أن تلك البيوت ما هي إلا نوع مطور لبيوت الدعارة تحت مسميات مختلفة.

العديد من القادة المسلمين الشيعة كانوا ضد ظاهرة الزواج السري، كما ورد في كتاب العلامة المجدد الأستاذ الدكتور موسى الموسوي، (خريج جامعة السوربون في فرنسا)، حفيد آية الله السيد أبا الحسن الموسوي، الإمام الأكبر للشيعة من سنة 1920 ولغاية 1946، حيث ألف عدة كتب دينية، أدان فيها مخاطر هذا النوع من الزواج السري، وأطلق عليه اسم " الدعارة الشرعية" .

إن من أهم الشروط الأساسية لإتمام زواج المتعة هي الآتية:

1- على المرأة أن تقول للرجل، "إنني موافقة على هبة نفسي لمتعتك"، عندها تصبح زوجة لذلك الرجل من دون الحاجة إلى أي شهادة من مرجع ديني أو محكمة شرعية.

2- فترة هذا الزواج سوف تثبت وفق الاتفاق بين الرجل والمرأة، وقد يكون لفترة ساعة أو يوم أو شهر أو حتى سنة !

3- وجوب تقديم الرجل بعض المال المتفق عليه عند إبرام الاتفاق بينهما.

4- الرجل غير مسئول عن تقديم التغذية للمرأة خلال فترة زواجهما المؤقن.

5- لا تكسب المرأة أي إرث في حالة وفاة الرجل المتعاقد معها للمتعة.

6- للرجل الحق بالتمتع بأي عدد من النساء بطريقة المتعة في نفس الوقت وتحت نفس السقف!!

7- يمكن إنهاء هذا الزواج بكلمة واحدة من الرجل، عندما يقول لزوجته المؤقتة "إنني ألغي هذا الزواج"، ومن دون الحاجة إلى إبرام أي وثيقة شرعية أو اتفاق بينهما.

8- المرأة المتمتع بها خلال فترة الزواج المؤقت، لا يحق لها الزواج مرة أخرى إلا بعد مرور 45 يوماً على موعد الانفصال من زواج المتعة.

ولا بد من الإشارة هنا إلى مسميات عديدة لمثل هذا النوع من الزواج، مثل، المسيار، والعرفي، مع وجود فوارق ظاهرية لا تتطابق مع الزواج المبني على الشريعة الإسلامية.

المهدي المنتظر

Almahdi Almuntazar

اسم المهدي يعني "المرشد"، وهو لقب شرفي يلقب به البطل المنتظر في الإسلام، وإن هذا المصطلح لم يرد في القرآن الكريم ولا في الأحاديث النبوية. ولهذا تسبب في تفجير خلافات عديدة بين الشيعة والسنة.

إن هذه المعتقدات غالباً ما تشتمل على الأمور الأخروية كالبعث والحساب، ودائماً تتحدث عن زمن سوف يبزغ في نهاية الزمان ليكافح قوى الشر بقيادة شخص أعور العين يدعى الدجال. كما أن هناك حالة معينة تقول "إن شخصاً سوف يملأ الأرض عدلاً بعد أن امتلأت بالظلم والجور".

ظهور المهدي عليه السلام، سيقود قوى الخير في معركة نهائية لتحقيق الرؤيا أو المعتقد لدى الشيعة لمكافحة الشر والظلم على البشر، وسيتحقق النصر. وإن جميع هذه الحوادث المتنبأ بها ستتم قبل يوم الحساب.

لدى الشيعة الإثنى عشرية، وبسبب الوضع الشرعي لهذه الأقلية المسلمة إضافة لاستمرار الاضطهاد والظلم، فإن ظهور المهدي عليه السلام، الذي اختفى سنة 874 ميلادية قد تطور إلى قوة مذهلة وعقيدة مركزية ولذا اعتبر المهدي المنتظر عليه السلام كإمام للشيعة، وكون العدد الثاني عشر.

ولد المهدي في سامراء التي كانت في حينها عاصمة الدولة العباسية، وهو ابن الإمام حسن العسكري الذي يتصل نسبه بالنبي محمد ﷺ، وقد لقب بصاحب الزمان وهو الذي سيملأ الأرض عدلاً وسلاماً.

وبعد غياب الإمام وهو طفل، فإن المرجعيات الشيعية، قدرت الغيبة الصغرى بسبعين سنة وقد تتابع خلالها أربعة من المراجع الشرعيين كمستشارين من بعده. ومن ثم دخل الإمام في الغيبة الكبرى وما زال حياً ولكن من دون أن يتصل بأي مندوب، إلا أن المشرعين الشيعة يعتقدون باستلام بركاته وتوجيهاته، وقد أعطى هذا الاعتقاد قوة إلى مرجعيتهم.

إن ظاهرة تصور ظهور إنسان يجيء لمحاربة الشر وبناء المدن الفاضلة المفعمة بالعدالة ومبادئ الأخلاق لم تقتصر على المسلمين الشيعة، بل هي موجودة في ديانات أخرى. مثال ذلك، المسيح عليه السلام، سيعود إلى الأرض في وقت ما، واستناداً إلى بعض المصادر، فإنه سوف يحارب بجانب المهدي المنتظر عليه السلام أو يحكم من بعده.

لم يجد الشيعة الاثنى عشرية أية صعوبات في تطابق تلك الظاهرة، والاعتقاد بظهور شخص بعد آلاف السنين عندما يأذن له الله بالعودة ثانية لإنقاذ الإنسانية. إلا أن هناك بعض الناس ممن يعتقد بأن مثل تلك الظاهرة مخالفة للظواهر الطبيعية التي لا تتفق مع إطالة عمر أي حي من الأحياء لآلاف السنين. وعلى أية حال، فإن الشيعة يعتقدون بالخوارق الطبيعية، حيث ورد مثل ذلك في القرآن الكريم، كما في "سورة الكهف، آية 24" وهذا نصها:

﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾.

وعلى أية حال، واستناداً إلى العديد من الظواهر المماثلة، فإن الشيعة تعتقد بوجود المهدي عليه السلام، حياً منذ آلاف السنين، كما هو الحال مع السيد المسيح عليه السلام، والنبي نوح عليه السلام، وأهل الكف.

يجب على المسلم الحقيقي أن يؤمن بجميع ما ورد في القرآن الكريم، ولهذا لا وجود للشك إذا ما اعتقد أي شخص من الطائفة الشيعية بمثل تلك القصص المخالفة للطبيعة.

معظم المرجعيات الشيعية، تقر باختفاء المهدي عليه السلام، عندما كان في الخامسة من عمره، بعد وفاة والده

الإمام الحسن العسكري، ومن الجدير بالذكر عدم وجود توثيق لطريقة الاختفاء:متى وأين تمت.


الملوية في مدينة سامراء

الزائر لسامراء، سوف يشاهد مسجداً يضم ضريح الإمام الهادي عليه السلام، وابنه العسكري عليه السلام، وهما الإمامين العاشر والحادي عشر من أئمة الشيعة. كما أن الزائر سيشاهد سرداباً، وبجانب بابه يوجد حارس يحرس ثقبا صغيراً، يعمل على جمع الغبار الخارج من الثقب وبيعه إلى الزوار من الشيعة والطوائف المختلفة. والمراقب لهؤلاء الناس الفقراء شرائهم لهذا الغبار الخارج من الثقب لاعتقادهم بظهور صاحب الزمان عليه السلام، في أية لحظة من هذا الثقب الماثل أمام أعينهم.

ويقول الدكتور الموسوي:إنني على ثقة تامة بمعرفة المرجعيات الشيعية بما يجري عند ذلك الثقب وما هي قصته الحقيقية، وعدم وجود أية علاقة بينه وبين ظهور المهدي المنتظر عليه السلام، وأن غياب أي مسؤول لتفنيد مثل تلك البدع سبب وجود مثل هذا الاعتقاد ليومنا هذا من دون أي وازع يحول دون استمراره.

أهمية الإمام علي كرم الله وجهه

Significance of Emam Ali

ولد علي بن أبي طالب ﷺ ، في مكة المكرمة سنة 600 ميلادية، وهو ابن عم النبي محمد رسول الله ﷺ، ووالد الحسن والحسين سبطي الرسول محمد، وزوج البتول فاطمة الزهراء بنت محمد عليها السلام، والخليفة الرابع للمسلمين، في الفترة 656-661 ميلادية. يرتبط نسبه من خلال جده عبدالمطلب، المنتمي لقريش، أشهر قبائل العرب، وقد سمته أمه حيدراً، أي الأسد، تيمننا باسم والدها أسد بن هاشم.

وبعد مرور وقت طويل من الزمن، باتت قبيلة قريش في وضع سيء، ولذا قرر محمد بن عبدالله مساعدة عمه أبي طالب، والذي سبق وأن رعاه في صباه عند وفاة والده عبدالله. ولهذا فقد أخذ محمد أحد أولاد عمه ليعيش في بيته، ويشرف على رعايته وتربيته، وقد كان علي طفلاً صغيراً لم يتجاوز السادسة من عمره آنذاك، ومن ثم اعتبره محمد بمثابة ابنه.

عندما استلم محمد الرسالة النبوية، كان علي ما زال صغيراً، وكان أول من أسلم من الفتيان، وقد نذر حياته في خدمة القضية الإسلامية. وصارت شجاعة علي أسطورة بسبب نشاطاته المتعددة في خدمة الدين الإسلامي الجديد.

تلقى علي تعليمه مباشرة من النبي محمد ﷺ، الذي لقنه المباديء الإسلامية بالتفصيل، وزيادة على ذلك فقد كان محمد ﷺ، كأب له، وزوجته خديجه عليها السلام، كأم له.

تشبع علي بثقافة الرسول محمد ﷺ، بسبب مرافقته المستمرة له، وطالما شعر أو أحس برعشة الرسول عند تسلمه الرسالة من عند الله.

تزوج علي من فاطمة الزهراء بنت محمد ﷺ، في السنة الثانية للهجرة، ولم يتزوج ثانية إلا بعد ستة أشهر من وفاتها، ومن ثم تزوج عدة نساء بعد ذلك، ولم يجمع أكثر من أربعة زوجات تحت سقف واحد، وفق قانون الإسلام كما ورد في القرآن الكريم. ومن الجدير بالذكر أن زواجه لم يكن من أجل الجنس، وإنما من أجل توثيق العلائق مع عوائل تلك النساء المنتمية إلى قبائل معروفة ببسالتها وهيمنتها على الساحة العربية.

كان لعلي رضي الله عنه، ثلاثة أولاد من زوجته فاطمة الزهراء، هم : الحسن والحسين والمحسن (الذي توفى وهو صغير)، وابنتان، هن : زينب، وأم كلثوم، التي تزوجها الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه، كما كان لعلي 14 ابناً و17 بنتاً، وفق ما ورد في مرجع (الطبري).

من أشهر الصفات النوعية لأمير المؤمنين علي رضي الله عنه إتقانه للثقافة في العلوم العربية، حيث بينت المراجع المعتمدة، بلوغه الأستاذية في العلوم الإسلامية، إضافة إلى كونه كان معلماً للعديد من المشرعين في العالم الإسلامي مثل: أبو حنيفة النعمان، والشافعي، وأحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، وجعفر الصادق، عليهم السلام جميعاً.

بين التاريخ أن البيئة التي عاش فيها الإمام علي رضي الله عنه، زودته بطاقة غير عادية صارت مثالاً في كافة القبائل العربية. وكانوا الآباء يفتخرون إذا ما خاض أبناؤهم المعارك بمعية الإمام علي. إلى جانب امتلاكه رضي الله عنه، مزايا عديدة أخرى، ومنها، السماحة، والبساطة، والإنسانية.

يحتوي تاريخ الإمام علي الكثير من الأحداث التي وقعت له، ومن أبرزها الآتي:

1- في وقت ما كان النبي محمد ﷺ، في موقف خطر للغاية، (استناداً إلى المراجع الشيعية)، حينما اتخذ أعدائه من قبيلة قريش قراراً بتصفيته، عندما جربوا كل الطرق لثنيه عن الادعاء بالرسالة السماوية، لكنه وقف أمامهم وجها لوجه غير مكترث ولاخائف من تهديداتهم وإغراءاتهم المادية. في ذلك اليوم أعطى الرسول محمد ﷺ، أوامره إلى أصحابه وأتباعه لمغادرة بيوتهم في مكة المكرمة، والتوجه إلى المدينة المنورة. وعندما أدركت قريش خطة الرسول محمد ﷺ، اجتمع قادتها في بيت خاص يسمى

"دار الندوة"، والذي تبحث فيه المسائل الكبرى. ولهذا، بحثوا جميع أفكار زعمائهم، وفي نهاية اجتماعهم، تم الاتفاق على خطة أبي جهل، (عم الرسول محمد)، والتي يمكن إيجازها في الآتي:

سوف نأخذ شاباً من كل قبيلة من قبائل قريش، ونضع بيده سيفاً لضرب محمد في آن واحد وكأنها ضربة شخص واحد، لقتله فوراً، وهكذا، فإن دمه سيوزع على كافة القبائل المشاركة، وعندئذ سيصعب على عائلة محمد الأخذ بثأره ونتجنب المعارك معها، حيث لا تكون لها القدرة على محاربة العديد من القبائل المشاركة في الاغتيال.

اكتشف الرسول محمد ﷺ، خطة قريش، وطلب من علي بن ابي طالب ﵁، النوم في سريره تلك الليلة وتغطية نفسه بواسطة أزاره الحضرموتي الأخضر.

وبعد أن أتم النبي محمد ﷺ، خطته، غادر مكة المكرمة مع صاحبه أبي بكر من دون أن يشعر بهما أحد.

وعندما طوق القتلة بيت الرسول الكريم، محمد بن عبدالله ﷺ، تصوروا أن النائم هو محمد. وعلى أية حال، عندما رفعوا الغطاء، دهشوا عندما وجدوا أن النائم لم يكن محمداً، ولذا فشلت خطتهم، وأسرعوا في ملاحقته، إلا أنهم لم يدركوه، حيث اختفى صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر في غار حراء، إلى أن تأكدوا من أن الأعداء قد يئسوا من العثور عليهم وتوقفوا عن مطاردتهم، وعادوا أدراجهم، وعندئذ واصل النبي ﷺ، وصاحبه أبو بكر ﵁، مسيرتهما نحو المدينة المنورة.

2- شارك الإمام علي، كرم الله وجهه، في عدة غزوات ضد الكفار في مكة المكرمة، مثل، معركة بدروأحِد، كما أنه حمى النبي ﷺ، عندما جرحه الأعداء المشركون.

3- عندما أنهى الرسول محمد ﷺ، الحج إلى مكة المكرمة، في السنة العاشرة الهجرية، عاد إلى المدينة ألقى خطبة مهمة عند غدير قمُ، شرح فيه عدة مواضيع لأول مرة، مثال ذلك :

أ – سوف أفارقكم بعد وفاتي، وإنني اترك فيكم الثقلين، القرآن الكريم وعترة آل بيتي.

ب– علي مولى من لا مولى له، اللهم وال من والاه، وعاد من عاداه.

اختلف المسلمون في تفسير كلمة (الموالاة)، فمنهم من قال: السير على خطى الرسول، ومنهم من فسرها كوصية لعلي ﵁ ، بالخلافة.

إضافة للمزايا الشخصية التي ميزت الإمام علي ﵁ ، التي دفعت النبي ﷺ، لتكريمه، فإن هناك مزايا نفسية لديه، وقد كان يعتبره كولده، حيث حرم الرسول من الولد عند وفاة ولده الرضيع "القاسم"، من زوجته مريم القبطية، ولهذا، فإن حبه للذكر، "وفق العادات العربية"، تحول إلى حب علي الذي نشأ في داره.

وعند وفاة الرسول ﷺ، انقسم المسلمون إلى فئتين رئيسيتين، لكل منهما مرشح، وخلال اجتماع أنصار أبي بكر في مكان يعرف بسقيفة بني سعد، انتخب صاحب رسول الله، أبو بكر الصديق ﵁ ، كأول خليفة للمسلمين. إلا أن الإمام علي ﵁ ، وجميع مؤيديه لم يعترفوا ذلك القرار إلا بعد وفاة فاطمة الزهراء ؈، والتي توفت بعد وفاة والدها محمد ﷺ، بستة أشهر. كذلك لم يتفق الإمام علي ﵁ ، مع بعض المجموعات الإسلامية التي كانت ترغب بالبيعة له، بسبب عدم رغبته في أقسام المسلمين.

وعندما شعر الخليفة أبو بكر ﵁ ، بدنو أجله، أوصى بالخلافة إلى عمر بن الخطاب ﵁ ، من بعد وفاته. وقد تكررت هذه الطريقة في البيعة للخلافة، عندما أوصى الخليفة عمر بن الخطاب ﵁ ، بالخلافة من بعد وفاته إلى عثمان بن عثمان ﵁.

حدثت مشاكل عديدة في فترة حكم الخليفة الثالث، عثمان بن عفان ﵁ ، وقد أظهر معظم أفراد المجتمع الإسلامي التخلي عن الأصدقاء المقربين له، مثل، طلحه والزبير، والسيدة عائشة ﵂.

وعلى الرغم من عدم رضى بعض المسلمين، لتصرفات الخليفة عثمان بن عفان ﵁، فإنهم طلبوا من الإمام علي ﵁ ، بالتوسط، ومفاتحة الخليفة بكل صراحة وبيان عيوبه، وحمله للكف عن تلك الأعمال، إلا أنه لم يصغ لتلك النصيحة.

قاد ذلك الموقف، إلى التحريض على إعلان الثورة بين بعض المجموعات الإسلامية القادمة من مصر، ومن بعض المدن الشهيرة في العراق، مثل البصرة والكوفة.

وعلى الرغم من الحراسة المشددة، والتي تفوق المئة من خيرة شباب المسلمين، فقد تمكنت تلك الفئة من الوصول إلى دار الخليفة وقتله.

تأزم الموقف بعد مقتل عثمان، على يد إرهابيين من المسلمين، وأصبح من الصعب تسويته، ولهذا، صار لزاما البحث عن خليفة ملائم لمبايعته. ولذلك، استقر رأي عامة المسلمين المحيطين بالإمام علي ﷺ، واقترحوا مبايعته، إلا أنه رفض. وعلى أية حال، فقد أخذ المسلمون المقربون منه بالضغط عليه، وأخيرا أذعن لإرادتهم ووافق ليكون الخليفة الرابع، سنة 35 هجرية.

عرف علي بن أبي طالب ﷺ، بين المسلمين بإتقانه لعلوم القرآن الكريم وللسنة النبوية، وقد حصل على إجماع المسلمين بإلمامه بالعلوم الدنيوية والروحية.

كانت الفترة التي تولى فيها الإمام علي ﷺ، الخلافة غير مستقرة بسبب وجود بعض المسلمين المعارضين له، مثل طلحة، الذي كان النبي يسميه "طلحة الخير"، والزبير" حواري رسول الله"، ومعاوية ابن أبي سفيان "والي الشام، سوريا حالياً "، وعائشة أم المؤمنين "زوجة النبي محمد، والتي كان يحبها ويؤثرها على سائر زوجاته اللائي تزوجهن بعد وفاة زوجته الأولى خديجة الكبرى، (رضوان الله عليهم).

لقد ساءت العلاقة بين عائشة رضي الله عنها، وعلي ﷺ، منذ حادثة الإفك، التي يمكن إيجازها كالآتي:

عندما ظلت عائشة رضي الله عنها، قابعة في مكانها خلف جيش المسلمين بعد أن صدرت له الأوامر بالتحرك ومغادرة أرض المعركة، لم تشعر بذلك إلا بعد فوات الأوان، وظلت قابعة في محلها وحيدة.

لم يصدق بعض المسلمين أعذارها، ولذلك طلب النبي محمد ﷺ، من بعض المقربين له، وكان من بينهم الإمام علي ﷺ، والذي طلب منه الاستفسار من خادمتها (بيرير)، حول ما ادعته، وهكذا، استدعى الرسول ﷺ، الخادمة ومثلت أمامه مصغية لسؤاله، إلا أن الإمام علي عليه السلام، طلب منها قول الحق. وعلى أية حال، قالت بيرير: إنني أعرف سيدتي عائشة، وهي امرأة جيدة وإنها لم تقترف أي شيء خطأ. وزيادة على ذلك، فقد نزلت آية بحقها تؤكد براءتها من حادثة الأفك.

كانت الأحداث التي ذكرت أعلاه، والتي استغلها المعارضون له، من بين الأسباب التي حالت أو عرقلت مبايعته كخليفة رابع للمسلمين، إضافة إلى اتهامهم للإمام علي بن أبي طالب بقتل عثمان بن عفان، (رضي الله عنهما). لقد استخدم المعارضون تلك الادعاءات الباطلة ضد الخليفة الجديد، وحملوه مسؤولية دم عثمان، وطلبوا منه البحث عن الجناة لحين إلقاء القبض على القاتل. وعلى أية حال، بات الآن كل شيء واضحاً ومكشوفاً من موقف المعارضين. لقد استخدموا "دم عثمان" سبباً لمنع المسلمين من مبايعته كخليفة للمسلمين، وصار "قميص عثمان" مثلاً يردده الناس.

وعندما تولى الإمام علي ﷺ الخلافة، وجد نفسه في حالة تحدي مع المشاكل الإدارية، ولهذا، ووفق قرار المسلمين الذين انتخبوه، كانت أولى خطواته، هي عزل بعض الولاة في عهد الخليفة عثمان ﷺ، وخاصة من الذين لم يبايعوه، كما فعل الخلفاء السابقون في عزل الحكام غير الموالين لهم فور استلامهم الخلافة، وعمل على عزل والي الشام، معاوية بن أبي سفيان ﷺ، من دون إبداء أي قلق أو اهتمام.

شعر معاوية، بما كان يجري حوله، ولم يبد أي رد فعل.

بدأ معاوية بجمع الموالين له ويحرض أهل الشام ضد الخليفة الجديد، وتطور الأمر فأوعز إلى قطعاته العسكرية بالتوجه إلى الكوفة عاصمة الخلافة آنذاك. ولقد حالف تحرك معاوية النجاح ضد جيش الخليفة الرابع الإمام علي ﷺ، الذي وصل إلى قرية "صفين"، على ضفاف نهر الفرات وتجمعه في معسكر يسمى "النخَيلة"، سنة 37 هجرية وفق التقويم الإسلامي.

انتظر الجيشان في مواجهة بعضهما البعض، من دون اقتتال طيلة شهر محرم الحرام، والذي يحرم فيه القتال وفق الشريعة الإسلامية، متأملين إحلال السلام، ولكنه لم يحُل، فالجيشان متورطان في حرب صعبة، وقد ربحت قوات علي المعركة، إلا أن دهاء معاوية، فوت الفرصة عن إتباع علي لإعلان فرحتهم بالنصر، وطلب التحكيم من أجل الخديعة، إلا أن خبرة الإمام علي ﷺ، وحدسه للمكيدة التي تنتظره، لم يوافق على خطة معاوية. إلا أن بعض الموالين لعلي، نصتحوه بالموافقة، وهددوه بالقتل في حالة الرفض، كما فعل الإرهابيون مع عثمان ﷺ، حينما لم ينفذ نصيحة المعارضين له.

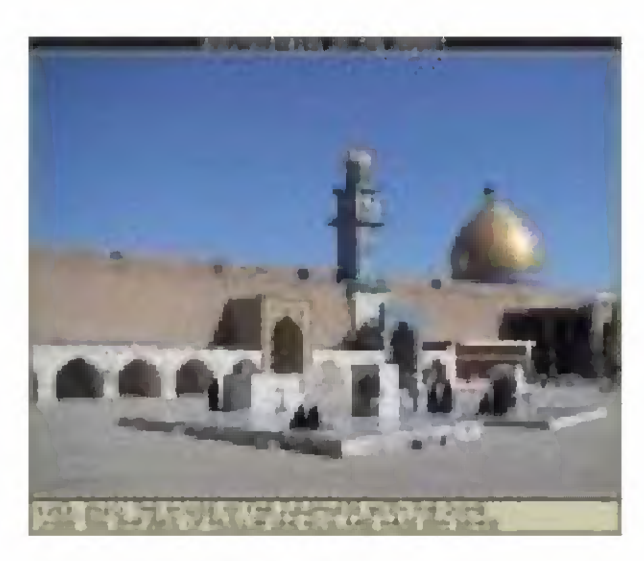
ولهذا، فإن الإمام علي ﷺ، قد أجبر على الأذعان إلى أوامرهم، واختار أبو موسى الأشعري لينوب عنه ويتفاوض مع ممثل معاوية، عمرو بن العاص (رضوان الله عليهم).

وبعد دقائق معدودات من المباحثات، حدثت خديعة أخرى، حيث اقترح المتفاوضان على خلع معاوية وعلي، ويتركان أمر انتخاب خليفة جديد إلى جمهور المسلمين عامة، وفق نظام الشورى. وعلى أية حال، ففي اللحظة التي نطق بها أبو موسى الأشعري، وقال "إنني خلعت علي"، نطق عمرو بن العاص فورًا وقال "إنني أثبت معاوية كخليفة للمسلمين".

أدت تلك المفاوضات إلى ضعف في موقف أصحاب الإمام علي، وقوة أتباع معاوية، العسكرية والمعنوية، وخاصة عندما ارتبط الإقليم المصري بمركز الخلافة بالشام. وبنفس الوقت، أجبر الإمام علي ﷺ، على محاربة الذين أجبروه على قبول القرار الصعب بإيقاف الحرب في سنة 38 هجرية. إن هؤلاء الناس لم يحبوه وعملوا خطة للانتقام منه في أقرب فرصة تسنح لهم.

عزم الإمام علي ﷺ، مهاجمة الشام، إلا أن أصحابه تراجعوا إلى بيوتهم ليلاً في الكوفة، وتبقى معه عدد قليل من الجنود.

امتد الخلاف وساءت العلائق، بين علي ومعاوية، وبقى العداء لكل منهما مستمرًا نصف قرن تقريباً، وانتقلت هذه الحالة من السرية أولاً، إلى أن صارت علنية، عندما أمر معاوية شتم الإمام علي بن أبي طالب، الخليفة الرابع والمنتخب بالشورى، من على منابر المساجد في صلاة الجمعة. وإضافة إلى ذلك، كان الخطيب يتكلم بمواضيع تسيء وتحطم صلته بالنبي محمد ﷺ، ويفندون الأحاديث النبوية بحقه.



مسجد الكوفة

في سنة 39 هجرية، أراد العديد من المسلمين تأدية مناسك الحج، وكان من بينهم بعض الأشخاص الذين يضمرون العداء إلى الأمام علي ﷺ ، منذ معركة النهروان.

عمل هؤلاء الأشخاص مؤتمراً، وقال أحدهم في ذلك الاجتماع: "قديماً وقبل الإسلام، كانت مكة أحسن مما هي عليه هذه الأيام. وأكثر من هذا، الديانة الإسلامية، كانت في أعلى مجدها. ولكن، إذا ما تمكن شخص ما من قتل علي ومعاوية، فإن المسلمين سيحصلوا على مكاسبهم".

وعندما وصل واحد من تلك الفئة، يدعى "عبدالرحمن بن ملجم"، اجتمع مع شخص من أقاربه يدعى، " تيم الرباب"، الذي فقد عشرة أفراد من أبنائه في معركة النهروان.

تواعد بن ملجم واثنان من زملائه، لشرح خطة اغتيال الإمام علي. ولقد كانت البداية تحريض المسلمين لإيجاد عيوب ومساويء حكامهم وعدم الموافقة على ما فعلوه مع الناس في حرب القيروان. ولقد صمموا على قتل الأئمة المنحرفين، كما هم يعتقدون، وهم علي ومعاوية وعمرو بن العاص.

وفي السابع عشر من رمضان، وفي منتصف ليلة الجمعة، تقابل بن ملجم مع مساعديه، وجلسوا في مقابل الطريق الذي يسلكه الإمام في كل مرة عند توجهه للصلاة كل صباح. وفي ذلك اليوم الذي غادر فيه الإمام داره لتأدية صلاة الفجر،

ضرب بن ملجم رأس الإمام علي ﷺ ، بدقة بالسيف، وسالت الدماء على جبهته وذقنه، وسارع بعض الأشخاص بنقله إلى داره. أمسك الحراس بالمجرم واقتادوه لمواجهة الإمام ﷺ ، عندئذ نظر إليه وأمر بالآتي:

قدموا له الطعام الجيد، والفراش الوثير، وإذا بقيت حياً، سوف أعاقبه بنفسي، وإذا مت فاجعلوه يلتحق بي ميتاً.

وبعد أربعة أيام، توفى الإمام علي في 21 رمضان سنة 40 هجرية، وقام ولده الأكبر الحسن عليه السلام، بغسل جسمه، ودفنه في مدينة النجف، الواقعة جنوب بغداد، والتي أصبحت فيها بعد عاصمة الشيعة في العالم الإسلامي. وعلى أية حال، فإن معظم علماء الشيعة متفقون على موقع الدفن في الغري غرب النجف الأشرف. ولقد بين علماء الشيعة سبب التناقض في موقع الدفن، ومنها، أن الإمام علي (كرم الله وجهه)، هو الذي أمر بإخفاء مكان دفنه عن أعدائه، حتى لا يتعرض إلى التدنيس.



ضريح الأمام علي في النجف الأشرف

وفي هذه الأيام، يعد الصحن الحيدري في النجف الأشرف، من أبرز المعالم الشيعية في العالم، حيث يضم ضريح الإمام بن علي ﷺ ، ويمتد الصحن على مساحة 15 ألف متر مربع، وهو عبارة عن إيوان واسع مفتوح الفضاء يضم في مركزه الروضة التي

يتوسطها القبر، المغطى بصندوق من الخشب المتين والمتوج بآيات قرآنية ومحاط بشباك من الفضة، يكلله تاج من الذهب، وتحيط بالقبر حضرة تملؤها الثريات المتوهجة، وجدرانها مزينة بالفسيفساء والرخام الإيطالي، لها أربعة أبواب، وتكون مع القبرما يعرف "بالروضة"، وهذه تعلوها قبة مغطاة بالصفائح الذهبية، ويحيط بها رواق فيه اربعة أبواب ذهبية وفضية، ويلي الرواق، إيوان مرتفع تزدان سقوفه بالصحائف الذهبية، وفي ركنه مئذنتان مغلفتان بالذهب، كما أن أروقته مزينة بالمرايا، كما توجد داخل القبو الذي يعلوه الضريح، غرفة محصنة تحوي الهدايا المقدمة من الملوك والرؤساء والأمراء من دول عربية واسلامية، ومن هذه النفائس نسخة من القرآن الكريم مخطوطة على الجلد وقناديل مرصعة بالأحجار الكريمة وسجاد ثمين يمتد تاريخه لأربعة قرون منسوج من خيوط الذهب والفضة، وتاج وسيوف ذهبية، إضافة إلى أحجار كريمة متنوعة لا تقدر بثمن.

إن أكثر من مليون من المسلمين الشيعة من كافة أنحاء العالم يزورون مدينة النجف الأشرف، في كل سنة، من أجل الصلاة والدعاء إلى الله تعالى على قبر الإمام الشهيد تبركاً والتماساً لشفاعته يوم القيامة. العديد من المصادر السنية والشيعية متفقة على أن الإمام علي شخصية متميزة عميق التفكير في الأمور الدينية، وحريص على تطبيق الدين الإسلامي والعدالة، طبقا لما ورد بالقرآن الكريم وسنة نبيه ﷺ.

الخلاف الأساسي بين الشيعة والسنة

Basic Difference Between Shiite and Sunni

أهم نقطة في الخلاف بين الطائفتين، السنية والشعية، تنحصر في تقييمهم للرسول محمد ﷺ، والإمام علي وبقية الأئمة، رضوان الله عليهم جميعاً. حيث أن كلا الطائفتين، تؤمنان أن النبي محمد ﷺ، هو رسول الله وآخر من نزل عليه الوحي من الأنبياء. أما الشيعة الملتزمين الأوائل، فإنهم يعتقدون وبصورة قاطعة، إن الإمام علي وبقية الأمة من بعده (رضوان الله عليهم جميعاً)، متلقو الإلهام. ومن ناحية أخرى، فإن السُنة يعتقدون، أن الرسول محمد ﷺ، لم يعين الخليفة أو الوريث من بعد وفاته، إلا أن الشيعة لهم رأي آخر مغاير، ويؤكدون أن الرسول محمد ﷺ، حدد بوضوح اسم "علي" ليكون خليفته من بعده، في الواحة الواقعة بين مكة والمدينة، "غدير قم". حيث تحدث النبي محمد ﷺ، في ذلك المكان إلى المسلمين، في خطبة الوداع معلناً وفاته والانتقال لجوار ربه في أية لحظة، وقال:

"إنني سألبي دعوة ربي، وسوف أفارقكم، تاركاً بينكم كتاب الله، وجميع أعضاء أهل البيت، وإذا ما اتبعتم هذا " ثم رفع ذراع علي ".

وقال: "هذا مولى من لا مولى له، اللهم والي من والاه، وعاد من عاداه".

شرح المشرعون السُنة، عما ورد بخطبة "غدير قم"، بشكل مختلف، في تفسير "الموالاة"، وبكونها تعني الصداقة. بينما ينظر الشيعة إلى ذلك بمنظور آخر، حيث يعتبرونه" الولي أو الوصي بالخلافة"، وأن الإلهام انتقل منه إلى بقية أبنائه، "آل البيت" (رضوان الله عليهم جميعاً)، شرعاً وبصورة مباشرة.

بينما يعتقد السنة، أن الوريث الوحيد للنبي هو الخليفة. والأكثر من ذلك، هو ما

ذكره أهل السنة، حيث أشاروا إلى اختلاف آخر، وبينوا، " أن دائرة الوحي بين السماء والأرض، انقطعت بوفاة الرسول.

وعلى أية حال، الشيعة يعتقدون الإنسانية، مازالت بحاجة إلى قيادة روحية، ولهذا، فإن استمرار تعاقب الأئمة ما هو إلا استمرار لخلافة الرسول.

الإمامية هي المعتقد الأساسي عند الشيعة، واستنادا إلى هذه العقيدة، فإن المعلومات الحقيقية لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الإمام. ولذا تعتبر الإمامية القلب النابض للشيعة، والرسالة الروحية التي ارتبطت بالإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومن جانب آخر، فإن أهل السنة لا يعتبرون الإمامية جزءاً من العقيدة الدينية.

مأساة الإمام الحسين

Tragedy of Imam Hussain

الحسين هو ابن الإمام علي (سلام الله عليهما)، وحفيد الرسول محمد ﷺ، والإمام الثالث عند الشيعة الإمامية. ولد الحسين عليه السلام، في سنة 603 ميلادية، وقد استشهد في كربلاء (غربي يغداد)، في (عاشوراء)، اليوم العاشر من شهر " محرم الحرام " وهو الشهر الأول، "الهجري"، الموافق لسنة 661 ميلادية، أي أن عمره آنذاك، 61 سنة. ...يمكن إيجاز تلك المأساة كالآتي:

عندما أصبح معاوية، رضي الله عنه ، خليفة المسلمين، عين ابنه يزيد ليرث الحكم من بعده. إلا أن مقاطعة الحجاز (الآن ضمن المملكة العربية السعودية)، رفضت البيعة إلى يزيد، أما العراقيون في الكوفة، (عاصمة الخلافة في عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وجهوا الدعوة إلى الحسين بن علي عليه السلام، حيث رفض مبايعة يزيد عند توليه الخلافة، وطلبوا منه أن يقود الثورة ضد يزيد، وليكون هو الخليفة للمسلمين.

تكهن الشيعة إلى أن يزيد سيرسل بعضاً من أتباعه ليختلطوا مع الحجاج في موسم الحج في تلك السنة، لقتل الحسين عليه السلام، والتخلص منه.

لذا، ومن أجل حقن دماء المسلمين في موسم الحج، امتنع الحسين من المشاركة في الحج تلك السنة، وبسبب تكهنه باغتياله، منع أتباعه من الالتزام بأي تعهد. وبعد ذلك توجه نحو الكوفة مع عائلته ولفيف من الرجال الموالين لآل البيت (رضوان الله عليهم).

القوة المقاتلة مع الحسين والتي انتشرت في الصحراء منعت من التزود بالمياه من

نهر الفرات. وفي اليوم العاشر من محرم الحرام، اغتيل كافة رجال الحسين، ولم ينجو من القتل سوى ابن الحسين، زين العابدين، (عليهما السلام)، لأنه كان طريح الفراش.

لقد ُمثلَ بجسد الحسين، واقتادوا النساء سبايا إلى" دمشق"، مع رأس الحسين، محمولاً على رأس الرمح، .... وتجولوا به بين الناس في الأزقة.

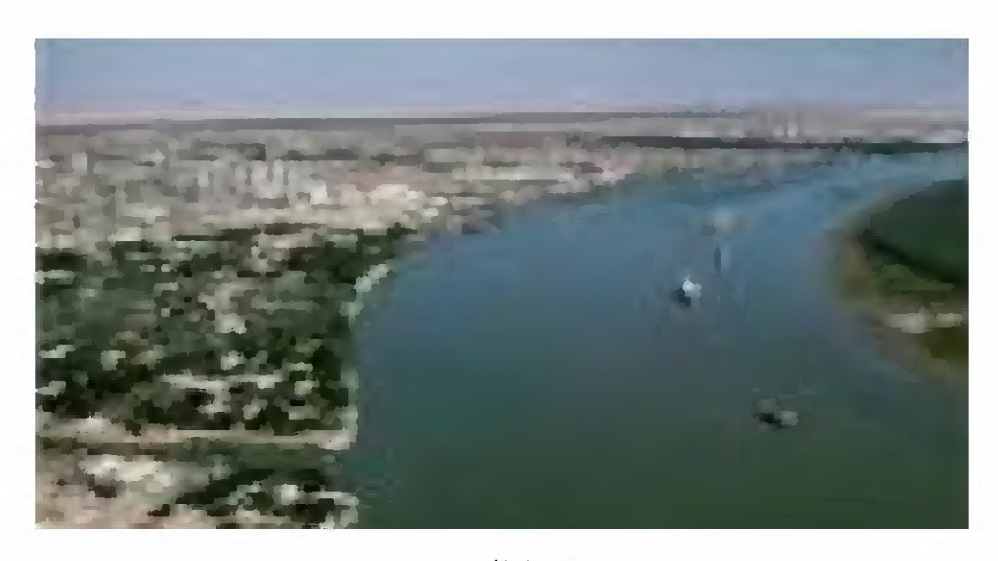
إن تدمير وإبادة عائلة الحسين، أصبحت موضوعاً للقصة الموسومة "مآساة كربلاء". إن التشبث بإعادة سرد تلك المأساة، هو التخفيف من وقعها المؤلم، ويتم ذلك بتلاوة المواعظ الدينية، وسرد تلك القصة المؤلمة لما حلَّ بأبناء رسول الله ﷺ، في ذلك اليوم، وتجرى مراسيم معينة، منها الثابت في المساجد والحسينات في كافة المدن في العراق والأقطار الشيعية الأخرى في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، ومنها المواكب المتحركة من مكان معين باتجاه مكان مقدس آخر بنفس المدينة أو الحج إلى المدن المقدسة مثل كربلاء والنجف والكاظمية، لأحياء ذكرى عاشوراء، وتتم المراسيم بترديد الأناشيد الدينية التي يطلق عليها "الردات" أو" الأهازيج الدينية"، وقد يصاحب ذلك صفوف من ضاربي " جنزير الحديد" على الظهر، وإضافة إلى ذلك وفي الصباح الباكر من عشرة عاشوراء تخرج زمر "القامة"، وهم مجاميع من الذكور من كافة الأعمار يحملون السيوف والقامات ضاربين بها رؤوسهم، وتنزف الدماء منها وتستمر هذه الحالة لبعض الوقت، ثم يدخلون الحمامات الشعبية لتضميد الجروح.



إن استشهاد الحسين، بالنسبة للشيعة، واقعة مؤلمة يندى لها جبين المسلمين، وقد اعتبرت تلك المأساة قصة نموذجية تجسد العدالة التي ثار من أجلها الحسين وأبناؤه (عليهم السلام)، لكي ينتصر الحق الذي نادى به الإسلام. ومما يجدر ذكره أن تلك المراسيم قد منعت ولم يسمح إلا لعدد من المواكب الحسينية لتخليدها في أماكن مغلقة، .. ولا يسمح لها بالانتقال من مكان إلى آخر، أو السفر بصورة جماعية إلى المدن المقدسة، إلا أنها عادت ثانية بعد سقوط بغداد في التاسع من نيسان سنة 2003.

العراق، هو مهد الحضارة المدنية والشعوب المتحضرة. استعملت كلمة "العراق"، منذ القرن الثامن قبل الميلاد، لشرح السهل الغريني الموجود مابين "دجلة" و "الفرات"، والذي أطلق عليه اسم "ما بين النهرين"، أو" وادي الرافدين" أو" الميسوبوتاميا"، في اللغة الإغريقية. وهو سهل مستوي، وعند ذوبان الثلوج الموسمية من الجبال المحيطة به، فسوف ترويه وتزيل عنه الأملاح المتراكمة، وبهذا ستزيد من خصوبته.

صار وادي الرافدين حدوداً تفصل الإمبراطوريات القديمة، "الفارسية والرومانية"، ولغاية الفتح الإسلامي في القرن الثامن بعد الميلاد.



شط العرب



آثارا قديمه



نصب لتمثال يمثل الحضارة القديمة

وعند انتقال الخلافة الإسلامية من "دمشق"، عاصمة النظام الأموي، إلى "بغداد"، عاصمة النظام العباسي، في القرن العاشر بعد الميلاد، صار العراق مركز القوة في كل أنحاء المعمورة.

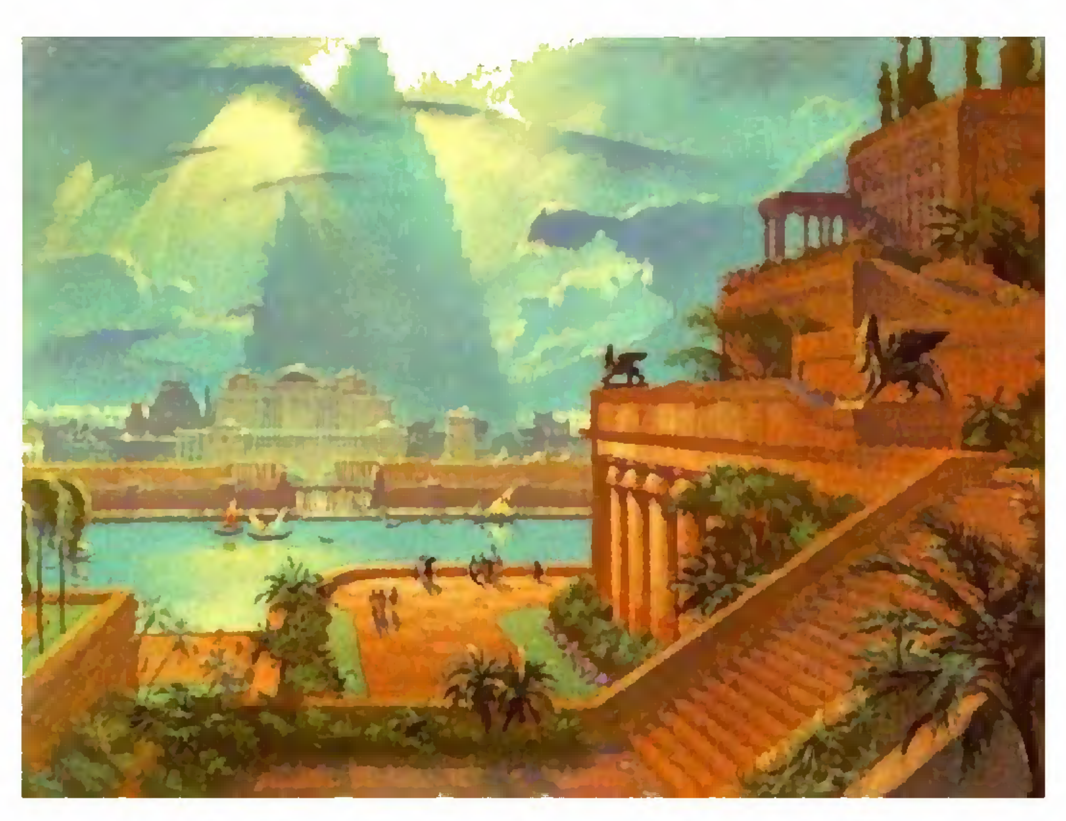
شيدت بغداد في عهد الخليفة العباسي الثاني، أبو جعفر المنصور، على ضفة نهر دجلة، كما أن لبغداد عدة أسماء منها، "المدينة المنورة" و"دار السلام".

وصلت الحضارة العربية إلى أعلى المستويات العالمية، خلال الحقبة التي تولى فيها الخليفة العباسي، "هارون الرشيد". إلا أن مجد بغداد اندثر فجأة في نهاية السنة 1258 ميلادية، عندما أكره المغول الخليفة العباسي للتنحي عن الحكم، ثم انهوا النظام.

لم تكن تلك الحادثة، آخر إرهاب في العراق، بل سقط تحت هيمنة الحاكم المغولي "تيمور لنك"، أيضاً.

عاد العراق ثانية إلى العهد الفارسي، لغاية بداية السنة 1534 ميلادية. عندما وصل سليمان القانوني (سلطان الدولة العثمانية)، إلى بغداد العاصمة العراقية.

أبرم السلطان مراد الرابع، معاهدة سلام مع الإيرانيين، " الصفويين" وهم مسلمون شيعة، وثبتت الحدود بين أمبراطوريتيهما. وعلى أية حال، عندما ثار الصفويون، الأقلية من المسلمين السنة في العراق، فإن الإدارة العثمانية، أرادت أن ترفع منزلتهم لتتقوى على الأكثرية من المسلمين الشيعة.



حدائق بابل المعلقة، إحدى العجائب السبعة في العالم
في مدينة الحلة، جنوب بغداد

تغير المجتمع العراقي منذ العهد العباسي، ومن ثم انهار فجأة ووصل لنهايته في العام 1258 م واستمر على تلك الحال حتى بزوغ المملكة العراقية في نوفمبر 1918م

كان الموقف في بغداد صعبًا، حيث كانت محاطة بالعديد من المدن الشيعية المقدسة، مثل: الكاظمية والنجف وكربلاء. اما مدينة البصرة، ثاني كبرى المدن العراقية، فقد كانت لها تجارة مع الشركة البريطانية لشرق الهند منذ القرن السابع عشر، لأن البصرة هي الميناء العراقي الوحيد الواقع في بحر العرب، .... والأكثر من ذلك، والذي زاد من أهمية البصرة كميناء، هو عدم وجود وسائل نقل غير الباخرة، مثل السيارة والطائرة والقطار.



المشحوف في الأهوار،
وسيلة النقل الوحيدة منذ آلاف السنين وإلى يومنا هذا

يضم العراق أيضاً، بعض الأقليات الدينية، مثل أتباع الكنيسة الشرقية، والتركمان، ومن اليهود القدامى، والذي يعود تاريخهم إلى العهد البابلي، المسمى " السبي".

ومن الجدير بالملاحظة أن معظم القوميين العراقيين، موظفون أو ضباط في الجيش والشرطة في العهد العثماني، وقد كونوا تحالفاً سرياً مع الجيش العراقي في سنة 1914 ميلادية. وقد انضم إلى هذا التحالف رجال عديدون، ليكونوا العمود في العهد الجديد للعراق، ومن هؤلاء، بل من أبرزهم، كان نوري السعيد باشا، الذي تولى رئاسة الوزراء في العهد الوطني لمرات عديدة، منذ 1920 – 1958 ميلادية.

قبل الحرب العالمية الأولى، بدأت بريطانيا تتهيأ لبناء القوة العربية الشجاعة لمقاومة النظام العثماني (الخلافة العثمانية)، في تركيا. وعلى أية حال، فإن من أهم الخطوات التي من المفروض اتباعها، هي الاتصال بأمير "مكة"، الشريف حسين بن علي، حيث أنه ينتمي إلى القوات العسكرية القوية، إضافة إلى قدراته القتالية، والتي سيستفاد منها عند ما تندلع الحرب ضد النظام العثماني.

والأكثر من ذلك، هو العلاقة المتوترة بين الشريف الحسين والنظام العثماني، وقد كادت أن تنفجر عندما أرادت الحكومة المركزية في اسطنبول، عاصمة النظام العثماني، أن تربط الحجاز (عاصمته مكة المكرمة)، مباشرة بها، وتعيين حكومة جديدة به. ومن الواضح أن تلك الإجراءات تهدف إلى تحطيم قوة الشريف حسين في مكة المكرمة.

لذا تطلع الشريف حسين نحو قطركبير وقوي، من أجل مساعدته والوقوف بجانبه.

وهكذا دفعت تلك الظروف الشريف حسين إلى الأرتباط بإنكلترا في عام 1912م، وتم ذلك عندما قابل ولده عبدالله القنصل البريطاني في القاهرة، لإحياء الخلافة القديمة. إن تلك المفاوضات أعطت بريطانية العظمى القدرة على استخدام القوة العربية لصالحها في حالة اندلاع الحرب مع تركيا، حيث ستضطر لترك معظم قواتها لإخماد الثورة العربية، وبهذا ستضمن بقاء تلك القوات بعيدة عن الجبهة الروسية. وزيادة على ذلك، محاولة ألمانيا لبناء جسر يربط بين ألمانيا وشرق أفريقيا مروراً باليمن، الذي يعتبر أحد الأقطار العربية التابعة إلى الخلافة العثمانية في ذلك الوقت، ولهذا، فإن ثورة العرب ضد النظام العثماني سيؤدي إلى تدمير المشروع الألماني. كما أن فائدة بريطانيا

سوف تكون مادية، وخاصة في الهند. وأن مرد ذلك يعود إلى الارتباط الروحي بين المسلمين الهنود والخلافة العثمانية، حيث من المحتمل إعلان الجهاد ضد بريطانيا في الأماكن الإسلامية الهندية في حالة اندلاع الحرب.

قام الشريف حسين باتصالات مكثفة مع عواصم الأقطار العربية، وطلب من ملوكها ورؤسائها، معرفة قابليتهم لمساندته، في حالة ثورته ضد النظام العثماني.

وجد مساندة من أجوبة الملوك والرؤساء، وخاصة من الجمعيات القومية في القطر السوري، بسبب إعدام النظام العثماني للعديد من المناضلين السوريين في ذلك الوقت.

ولهذا السبب، أرسل الشريف حسين ابنه الأمير فيصل إلى دمشق في سنة 1915، وقد قدموا له الولاء ليكونوا تحت قيادته.

وبعد عودة الأمير فيصل إلى مكة، أرسل الشريف حسين، عدة رسائل إلى القنصل البريطاني (آرثر هنري مكماهان)، يعلمه حول الموقف الجديد في الأقطار العربية وقابليتهم في محاربة النظام العثماني.

أرسل مكماهون موافقته لتسلم المسؤلية إلى رجل عربي، إلا أنهم لم يبحثوا قضايا الحدود، ولكن وقبل أن تنتهي المعاهدة بين العرب والإنكليز، ارتبط الإنكليز مع فرنسا وروسيا بمعاهدة سرية لتقسيم المقاطعات العثمانية فيما بينهم عند نهاية الحرب، وقد أطلق على تلك المعاهدة اسم "سايكس بيكو"، ولم يدرك العرب ماسوف تجلب لهم تلك الاتفاقية في المستقبل !!

اندلعت الثورة العربية في حزيران (جون)، 1916 ميلادية، ضد النظام العثماني، وقد كان الشريف حسين أول من أطلق الرصاصة الأولى على القوات التركية.

احتل الجيش العربي جميع مدن الحجاز، عدا المدينة المنورة، فقد بقت مغلقة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وأصبح الشريف حسين ملكاً على الأقطار العربية.

احتل الإنكليز مدينة بغداد، سنة 1917 ميلادية، وفي نهاية الحرب العالمية الأولى أكملوا احتلال العراق، في سنة 1918 ميلادية.

كانت الأقطار العربية بمثابة القلب للنظام العثماني، وخلال الحرب العالمية الأولى، وعندما ربح الحلفاء الحرب، قسموا تلك الأقطار العربية فيما بينهم، لتجنب أي نزاع بينهم في المستقبل.

عندما دخلت تركيا الحرب بجانب الألمان في تشرين الثاني (نوفمبر)، سنة 1914 ميلادية، جلب الإنكليز قوة عسكرية من الهند إلى البصرة، لغرضين، هما:

1- لفتح جبهة جديدة ضد تركيا، لمساعدة الروس.
2- لحماية حقول النفط في منطقة الخليج.

وفي سنة 1915 وصلت القوات البريطانية إلى مشارف بغداد بمسافة لا تتجاوز بضعة كيلومترات، إلا أنها أجبرت على التراجع إلى الكوت، على نهر دجلة وتمت محاصرتها لمدة أربعة أشهر.

وفي أكتوبر سنة 1918 ميلادية، وافق العثمانيون على إبرام هدنة مع كافة المناطق التي وقعت تحت الاحتلال البريطاني، مشتملة الحقول الغنية بالنفط في شمال مدينة كركوك، والموصل وإقليم كردستان.

خلال العام 1919 ميلادية، بدأ ملتقى الحلفاء المنتصرين في مؤتمر وارشو، يرسمون خطة لما سوف تؤول إليه الإمبراطورية الألمانية والعثمانية تحت الشرعية الدولية لعصبة الأمم .

ولقد حصلت بريطانيا على تفويض من هيئة الأمم لإدارة العراق شرعاً، وقد استجابت لمطالب الثوار، وثبتت نوعاً من الحكم غير المباشر، والذي سوف يحقق بعض طموحات الجماهير التي ستحصل على مكاسب أكثر من الإدارة العسكرية.

وفي تلك ا لآونة، عين وزيرا مفوضاً للعراق، كما استبدل الضابط البريطاني السياسي في المقاطعات العثمانية القديمة، وإن معظم الذين تم تعيينهم في المراكز الحكومية وعلى جميع المستويات، قد اختيروا من الأقلية السنية، منذ أن نالوا ثقة الإنكليز، لتوفر المهارة العملية عندهم والتي تفوق ما كان لدى الشيعة أو الأكراد. وهكذا، باتت الهيمنة السنية واضحة، وبالخصوص في صفوف الجيش العراقي الجديد، والذي تمركز في أعلى مراتبه ضباط خدموا في الجيش العثماني القديم.

أراد الإنكليز بناء جيش يوازي القوى القومية، والتي سوف تكون تحت إمرتهم المباشرة، ولذا جعلوا جند الليفي، "المسيحيين الآشوريين"، القوة الحقيقية لآلتهم العسكرية المركزية، تحت إمرتهم المباشرة، ولم يكن الانتقاء لتلك القوى من الغالبية، بل إنهم استعانوا بالجماعات المهمشة، مثل العرب من سكان الأهوار، والكرد في الجبال الوعرة، والآشوريون، والمسيحيون الفارين من التسلط العثماني خلال الحرب العالمية، والذين لم يكونوا من حملة الجنسية العراقية. كما تبين أن الجنود الآشوريين هم أفضل الجنود عسكرياً، وأكثرهم ولاءً للإنكليز.

وبعد انهيار النظام العثماني في نوفمبر 1918، خلال الحرب العالمية الأولى، وافق القادة العثمانيين عقد هدنة مع الحلفاء، والتخلي عن العراق تحت الاحتلال البريطاني خولت هيئة الأمم الوصاية لبريطانية لحكم العراق في نيسان (ابريل)، 1920 ميلادية، وجعلته معاد إلى الإدارة العثمانية، (تركيا في الوقت الحاضر).

لقد وقع الاختيار على الأمير الهاشمي فيصل بن الشريف الحسين، شريف مكة، وإضافة لذلك مساهمته في الثورة العربية، وقد سبق وأن تربع على عرش سوريا، لغاية تولي فرنسا الانتداب عليها.

وإضافة إلى ذلك، فإن الأمير فيصل يتصف بأمور عديدة تخوله كي يتربع على عرش العراق، منها:

1- أنه من سلالة النبي محمد ﷺ، ولهذا حصل السنة على مزية افتخروا بها أمام الشيعة.
2- أنه قومي أصيل يعتمد عليه كقائد للثورة العربية، وكان معروفاً لدى القيادة البريطانية.
3- كان حسن المظهر، وفاتن ووسيم، إضافة إلى كونه ذكي وداهية.
4- لم يكن عراقياً، لا بالولادة أو بالتبني، .. كان عربياً من الصحراء، وترعرع منذ طفولته في المجتمع العثماني في اسطنبول.

أصبح العراق تحت دستور الانتداب، قطراً ديمقراطياً، ولديه برلمان منتخب، إلا أن ذلك كان ظاهرياً، ففي الحقيقة، كانت بريطانيا تحكم العراق وتدير شؤونه بشكل غير مباشر.

تكونت إدارة جديدة في إنكلترا في 1229، بقيادة حزب العمال، وقد وصل الأمر إلى الوضع السياسي، وتعيين رئيس لوزراء العراق، وقد تم تعيين السيد نوري السعيد، في مارس 1930، وهو من الشخصيات التي هيمنت على تصريف الأمور السياسية في العراق لغاية تموز (يوليو)، 1958. ولقد كان نوري السعيد من أحسن القادة العرب الذين عملوا خلال الحقبة الاستعمارية، ... فقد كانت نظرته الشاملة، تتلخص في توحيد الأقطار العربية تحت القيادة الهاشمية.

العديد من الدبلوماسيين العرب لمحوا إلى أن الشريف الحسين هو العدو الحقيقي للاستعمار الغربي، إلا أن حلم المملكة والجلوس على العرش، منعت الشريف من الإصغاء إلى نصائح الحكماء من حوله.

علم العرب متأخرا عما كانت تخبئه لهم معاهدة سايكس بيكو، عند انعقاد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الروسي الذي قاد الثورة الحمراء بزعامة" لينين"، مؤسس الاتحاد السوفيتي السابق (روسيا حالياً).

كانت تلك المعاهدة خالية من أي تعهد لتأسيس الخلافة العربية. وأكثر من ذلك، فقد قطعت بعض الأقطار العربية وسلمت إلى فرنسا.

ومن الأسباب التي وسعت الخلاف بين العرب وبريطانيا، هي "وعد بلفور"، الذي تعهد بتكوين وطن قومي لليهود في فلسطين. كما أن بريطانيا استعمرت العراق والأردن وفلسطين، وفرنسا استعمرت كلاً من سوريا ولبنان، ولهذا قسمت الولايات المتحدة العربية إلى مقاطعات سياسية، أخذت على عاتقها محاربة الاستعمار الجديد الذي أزاح النظام العثماني المنهار. لهذا يمكن القول أن الشريف لم يكسب من ثورة العرب، سوى المجد !! ... ولقب قائد الثورة العربية.

تبلغ مساحة العراق، 450,000 كيلو متر مربع، ويحده من الجنوب، الكويت والمملكة العربية السعودية، ومن الغرب سوريا والأردن، ومن الشمال تركيا ومن الشرق إيران. وإن عدد السكان في نهاية القرن العشرين قد بلغ 25 مليون نسمة، 80٪ منهم عرب، ومنذ العهد الملكي وإلى يومنا هذا لا يملك أي عراقي وثيقة تحدد طائفته، أو قل لم يتطرق أي نظام لبيان مذهب أيٍّ من العراقيين، وهل هو سني أم شيعي ؟! ...

وعلى أية حال، وبعد 9 نيان (ابريل)، 2003، بزغت حالة جديدة، وبدأنا نسمع أصواتاً جديدة، تحدد هوية الإنسان الطائفية حدساً استناداً إلى اسمه ولقبه وسكنه، ومن ثم التكهن بشكل عشوائي لمعرفة كونه سني أم شيعي في العراق الديمقراطي الجديد!!

بدأ تحديد النسَب الطائفية وفق معايير غير دقيقة، وقيل بأن نسبة الشيعة العرب حوالي 60٪ معظمهم يقطنون المنطقة الجنوبية والوسطى، وحوالي 25٪ من السنة العرب يقطنون المنطقة الشمالية - الغربية.

من بغداد قرب الحدود السورية، وفي أعالي نهر دجلة، بين سامراء والموصل. كما أن معظم الأكراد، يعتنقون المذهب السني، ونسبتهم حوالي 15٪ من تعداد سكان العراق، ويقطنون ياالجبال الواقعة في الشمال الشرقي. أما المسيحيون من العرب أو القوميات الأخرى، فهم لا يتجاوزون 4٪ من سكان العراق، وهم ينتمون إلى الكنيسة الشرقية. مثل الآشوريون، والسريان، والأرمن، والكلدانيون، اما التركمان فهم من الأقليات العرقية، وهم مسلمون سنة يتكلمون اللغة التركية، ويستوطن معظمهم مدينة كركوك والأقضية والنواحي المحيطة بها، وبضمنهم الأكراد والعرب الذين أغراهم النظام السابق بالاستيطان في نلك المنطقة لتغيير هوية تلك المنطقة لكي يتعذر معرفتها إن كانت منطقة كردية أو تركمانية، ولذا أدرجت وضعيتها في الدستور العراقي الجديد الذي صوت عليه الشعب العراقي باستفتاء مباشر.

وقد استوطن الزيديون، على طول الحدود الشمالية، ويقطنون جبل سنجار، الواقع غرب الموصل. كما توجد قلة من الجالية اليهودية ما زالت تقطن مدينة بغداد والمدن العراقية الكبرى، وهم الذين تخلفوا عن الهجرة لخارج العراق بعد سنة 1948 ميلادية.

ومن الجدير بالذكر، ..تواجد جالية إيرانية قبل سنة 1980، أي قبل اكتساح الجيش العراقي لإيران، غير معروف تعدادها بدقة، معظمهم يقطنون بغداد والمدن المقدسة الأخرى مثل كربلاء والنجف والكاظمية.

تطور المجتمع العراقي

Development of Iraq Socitty

تطور المجتمع العراقي منذ العهد العباسي، الذي انهار فجأة في نهاية العام 1258م، ولغاية ترسيخ العهد الملكي في تشرين الثاني (نوفمبر)، 1918 م.

وصلت الحضارة العربية إلى أعلى المستويات في العالم في عهد الخليفة العباسي "هارون الرشيد"، في سنة 41 هجرية، وقد استمرت تلك الحالة حتى سقوط الدولة العباسية على يد هولاكو في 656 هـ ، واجتياح "تيمور- لنك لبغداد"، سنة 795 هـ.

استمر النزاع بين الصفويين في إيران والعثمانيين في تركيا، لمدة نصف قرن، أي لغاية 1049 هـ ، وإن ذلك يعني أن العهد العثماني استولى على العراق لأربعة قرون.



أول علم عراقي في العهد الملكي



شعار المملكة العراقية

سقط الحكم العثماني في العراق عندما احتل القائد البريطاني" الجنرال مود"، بغداد في سنة 1917 م، وان الحكومة البريطانية لم تلتزم بتعهدها الذي أبرمته مع الشريف حسين، "شريف مكه المكرمة".

مكنت الحكومة البريطانية، "الأمير فيصل بن الشريف حسين"، ليكون أول ملك على العراق، في الثالث والعشرين من آب (اغسطس)، سنة 1921 م.

اعتبر ذلك اليوم، بداية استقلال المملكة العراقية، وعاصمتها بغداد، ومنذ ذلك اليوم، بدأ الخلاف والصراع مع المحتل البريطاني، واستمرت المعارضة حتى 1920 م.

وخلال تلك الفترة، كان النشاط الطائفي ناشطاً عند كل الطوائف الدينية، ويظهر ذلك جلياً في الاحتفالات الدينية من دون خشية أو خوف، وبتحدي للحكومة القومية التابعة لقوة الاحتلال البريطاني. وأكثر من ذلك، كان كل وزير عراقي مرتبط بشكل غير مباشر مع الوزير البريطاني المماثل لأجل مساعدته.

تفجر الموقف العراقي، وهاجت المشاعر ضد بريطانيا، وأدى ذلك إلى تظاهرات شعبية، إما صامتة، أو علنية، في كافة المدن. وعلى أية حال، استمرت تلك الحالة لغاية بداية السنة 1920م.، حيث تفجرت في تلك السنة ثورة العشرين الشعبية، كان من نتائجها طرد قوات الاحتلال البريطانية، والتي سبق وأن قامت بإنهاء الحكومة العثمانية بعد في العراق، على إثر هزيمة الخلافة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى.

واجهت القوات العسكرية البريطانية، كافة القوى القومية في جميع المدن العراقية، وفي الخصوص في مدن الجنوبية مثل البصرة والناصرية والكوت والعمارة، إضافة إلى جمع غفير من أفراد القبائل. كما ساند الثورة ضباط سنة، من الذين خدموا في النظام العثماني، إلا أن أغلبية المقاتلين كانوا من المستقلين الشيعة.

كانت الشرارة الأولى لثورة العشرين قد انطلقت من مدينة النجف المشرف، في سنة 1920 م، وقد عمل المقاتلون المستقلون على توثيق عرى الترابط بين السنة والشيعية، التي بدأت بالتفكير حول مستقبل الأقاليم الثلاثة، كما شرع به المسؤولون البريطانيون وفق خطتهم للعراق.



الملك فيصل الأول

وفي مايس (مايو)، 1920 م.، حدثت سلسلة من اللقاءات للعديد من فئات المجتمع في مساجد بغداد، لشجب الانتداب البريطاني.

اجتماعات الأهالي من السنة والشيعة في الجوامع دفعت العديد من البغداديين، مشدين الحيطة بتطبيق أسس التعاون المثالي بين أعضاء الطائفتين السنية والشيعية، تحسباً لتحقيق استقلال العراق، كما أن التصالح الظاهري بين الشيعة والسنة، بدأ يهدد من قدرة هيمنة القادة الشيعية على الوضع الجديد.

تصدى القادة البريطانيون بشدة ضد مظاهرات الشعب العراقي في كافة شوارع بغداد، ولهذا، في شهر آب (أغسطس)، 1920 م.، وإن تنظيم الجماهير المعارضة لبريطانيا في مدن العراق ازداد صعوبة، بسبب القوة المتعاظمة للقوى السرية من طبقة معينة موالية لسياستهم، إضافة إلى تغلغل عملاء مخابراتهم، ولم بكبح ذلك من تعاظم القوى المعارضة لبريطانيا في بغداد وعموم المدن العراقية.

وفي وقت مبكر من شهر مايس (مايو)، 1920، دخلت عشائر عراقية لها وزنها، مثل عشائر الفرات الأوسط، وبينت استعدادها للعمل ضد القوات البريطانية المحتلة.

لقد كانت حوافز انضمامهم لحركة المقاومة مختلفاً، فمنهم، من كان على ارتباط مباشر مع قوى المعارضة في النجف الأشرف وكربلاء المقدسة، في حين أن عشائر أخرى انضمت مباشرة إلى المقاومة ضد القوات المسلحة البريطانية.

من المعلوم أن جميع العراقيين القادة أو شيوخ القبائل قد رحبوا بالاستقلال. كذلك كان هناك اتفاق على موافقة رجال القبال حول توزيع الأراضي، وفرض الضرائب والوضع الاقتصادي.

بدأت ثورة العشرين، كمعارضة للحكم البريطاني، ولكن تحولت إلى ثورة ضد بريطانيا، تفجرت في الفرات الأوسط.

وفي حزيران (يونيو)، 1920م أوقفت القوى البريطانية المحتلة شيوخ عدد من أفراد القبائل الفرات الأوسط، إلا أن طريقة التوقيف، عملت عكس ما كانوا يتطلعون له.

استمدت الثورة المسلحة قوتها من الارتباط القوي بين المركز الديني للشيعة في مدينة النجف الأشرف والقوى المسلحة للعشائر، ولقد أصبحوا على أتم الاستعداد لمهاجمة القوى البريطانية.

في الأيام الأولى من شهر تشرين الأول (اكتوبر)، وصل كبير الكنيسة البريطانية إلى بغداد، وقد اقترح أو قل زكى السيد عبدالرحمن النقيب، كرئيس للعراق.

تكونت الحكومة العراقية في تشرين الثاني (نوفمبر)، 1920 م.، شملت واحداً وعشرين من الوجهاء الذين خدموا في النظام العثماني القديم. ولقد شغل السنة معظم المراكز المهمة في الدوائر الحكومية.، إلا أن الوزارة اشتملت على عدد قليل من الشيعة والمسيحيين مع عدد من اليهود ذوي الخبرة الممتازة. وهكذا بدأ العراق باستبدال الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية الجديدة، ولكن كل وزير جديد ظل مرتبطاً بمشرف استشاري بريطاني لمساعدته. كما أن الوحدات الإدارية والبلديات العثمانية، أعيد تجديدها.

توضحت فوراً معالم الحكومة العراقية الجديدة، حيث لم يحظ الشيعة بأي مركز من المراكز الإدارية العليا، كالتي حظي بها السنة الذين كان لهم شأن في عهد الحكم العثماني، وأعيدوا لتلك المناصب الإدارية المهمة. أما الشيعة فقد كانوا مهمشين في الإدارة العثمانية، ولذا لم يكتسبوا أي نوع من الخبرات العملية، وحرموا وبشكل واسع من تبؤ أي منصب مهم في الإدارة الوطنية الجديدة.

كانت الخطوة الأولى في تأسيس الجيش العراقي قد اتخذت إبان تأسيس الحكومة العراقية الجديدة في سنة 1921 م.، فقد عين الضابط السابق في الجيش العثماني، جعفر العسكري، (والذي شارك في القوة العسكرية التي قادها الشريف حسين، قائد الثورة العربية)، وزيراً للدفاع. وقام بتعيين العسكريين القدامى من العراقيين المنحدرين من أصول عوائل عربية سنية، ليكونوا نواة للجيش العراقي الجديد.

وفي سنة 1921 م.، انعقد مؤتمر القاهرة، لغرض تثبيت المملكة العراقية للأمير الهاشمي فيصل بن الشريف حسين، والذي أجبر عن التخلي عن عرش سوريا بعدما احتلها الفرنسيون سنة 1920 م.

هاجمت ثورة العشرين العراقية، الانتداب البريطاني، وعندما فقدت القطعات العسكرية البريطانية مقاومتها، امتثلت لمطالب الثوار الوطنين العراقيين، ومن ثم اعترفوا باستقلال العراق، ووافقوا اقتراح الثوار بتعيين الأمير فيصل ليكون ملكاً على العراق.

وخلال بضعة أسابيع، أعلنت القنصلية البريطانية، تصريحاً عينت بموجبه الأمير فيصل ملكاً على العراق، وأعلنوا نتائج مزيفة، وأن 96٪ من سكان العراق قد انتخبوا الملك الجديد. وعلى أية حال، ففي آب (أغسطس)، سنة 1923 م. توج فيصل كأول ملك للعراق.

أصيب فيصل بخيبة أمل عندما وصل إلى العراق، بسبب وجود مختلف العينات من السكان، وان مرد ذلك يعود إلى مكونات الشعب العراقي من مختلف القوميات، مثل العرب والكرد والتركمان، وإن معظم هؤلاء الناس يدينون بالإسلام. والأكثرية

يتبعون المذهب الشيعي، والأقلية يتبعون المذهب السني. وإضافة إلى ذلك، توجد أقليات صغيرة أخرى تدين بالمسيحية، مثل، الأرمن والكلدان والآشوريون، كما توجد أقلية تنطق بالعربية، وتدين بالمسيحية، وجماعة أخرى صغيرة تعتنق الدين اليهودي.

لم يساند الكرد الملك فيصل الأول، لأنه عربي، . وعلى أية حال، وبالرغم كونه سني إلا أنه لم يواجه معارضة كبيرة من الطائفة الشيعية وإن سياسته لم تأخذ أي منحى تجاه فئة معينة، ولهذا السبب كان الشعب العراقي بكافة أطيافه مخلصا ومحباً له. وخلال بضعة اسابيع، أثبت العراق وجوده كقطر مستقل، إلا انه يسير بطريق غير واضح.

ستنهي بريطانيا انتدابها على العراق في تشرين الأول (أكتوبر)، 1932 م.، وقد قدمت المساعدة للعراق لكي يحصل على عضوية هيئة عصبة الأمم . كما أن القوات البريطانية قامت بتدريب الجيش العراقي ومساندة نفوذ الملك والوزراء. ومن هذا المنطلق اعتقد العراقيون أن استقلالهم كان ناقصاً. وفيما بعد، تعرض الملك لوعكة، ولذا غادر العراق في أيلول (سبتمبر)، 1933 م.، للعلاج في سويسرا، إلا انه فارق الحياة بعد حوالي أسبوع واحد من تاريخ وصوله.



الملك غازي الأول

ولقد تولى العرش من بعده، ابنه الوحيد غازي الأول، والذي كان صغيراً، لا يتجاوز عمره 21 سنة، أي أنه مازال غير مطلع على أغوار السياسية العالمية، وكان من أشد المعارضين للسيطرة والهيمنة البريطانية وأن تطلعاته القومية، جعلت منه بطلاً شعبياً. ولقد توفى في يوم 04 نيسان (ابريل)، سنة 1939 م لتعرضه إلى حدث اصطدام سيارة كان يقودها بعمود كهرباء، إلا أن معظم العراقيون لم يصدقوا تلك الرواية الملفقة. وقد كان الاعتقاد السائد في حينها، ينحو باللائمة والاتهام على نوري السعيد مباشرة، حيث كان رئيسا للوزراء وبعلاقة حميمة مع لندن، ولذا، رمى العراقيون مسؤولية وفاة الملك على الإنكليز.

أعقب موت الملك غازي، ابنه فيصل الثاني والذي لم يتجاوز عمره الرابعة، وصار هو الحاكم شكلاً، تحت رعاية خاله الوصي عبدالإله بن علي.



الوصي على عرش العراق، عبدالآله مع بن أخته الملك فيصل الثاني.

استمر التوتر بين القوى القومية والجماعة الموالية لقائدها الوصي عبدالإله ونوري السعيد، ولقد قادت تلك الظروف إلى نجاح المقاومة ضد بريطانيا. ولهذا، توجه الملك فيصل الثاني وأمه وخاله عبدالإله وعدد آخر من أفراد العائلة المالكة، إلى الحبانية، وهي قاعدة جوية بريطانيا قرب بغداد، ومن ثم، انتقلوا جواً بالطائرة إلى البصرة. وعلى أية حال، لم تتلق تلك المجموعة أية مساندة من الجيش العراقي. ولهذا طاروا ثانية إلى المملكة الهاشمية التي تحكم الأردن، بقيادة الملك عبدالله، الأخ الأكبر للملك فيصل الأول.

وعلى أية حال، أعلن الجيش حكومة جديدة في نيسان (ابريل)، 1941 م بقيادة رئيس الوزراء القومي، السيد رشيد عالي الكيلاني. ولقد دعى البرلمان العراقي إلى الاجتماع، والتصويت على عزل الوصي عبدالإله، وتعيين شريف شرف، كوصي جديد على عرش العراق. وعلى أية حال، الانتداب البريطاني لم يوافق على تبني ذلك الوضع الجديد، وصدرت الأوامر إلى جنود الجيش البريطاني في القواعد الجوية في كل من الحبانية والشعيبة. لمحاربة الجيش العراقي.

استمرت الحرب شهراً واحداً، وقد أدت تلك الحرب إلى انبثاق الحكومة الوطنية،

لم يحالفها النجاح ولكن لم ولم يحالفها النجاح، وبعد أن استتب الوضع عاد الوصي على عرش العراق عبد الإله وبصحبته كافة القادة الذين هربوا معه، إلى مراكزهم القيادية السابقة.

أصبحت بريطانيا على رأس قيادة كافة القطعات العسكرية في الجيش العراقي، وفي سنة 1942 م. سلمت كافة قادة ثورة نيسان إلى الحكومة العراقية الجديدة، والتي قامت بإعدامهم، مما أدى إلى زيادة التحدي والعمل العدائي ضد القوات البريطانية المحتلة.

عاد العراق ثانية إلى علاقته القديمة الجيدة مع بريطانيا بسبب تلك الظروف المستجدة. وصار العراق من الأعضاء المؤسسين إلى هيئة الأمم المتحدة، بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى في سنة 1945 م.

وفي شباط (فبراير)، 1946 م.، سمحت الحكومة العراقية بتأسيس أحزاب عراقية سياسية، منها :

1- الحزب الوطني الديمقراطي.
2- الحزب الوطني الديمقراطي.
3- حزب الاستقلال.
4- حزب التحرير الوطني.

المسألة الفلسطينية لم تر حلاً منذ ذلك الحين، وإلى يومنا هذا، ففي سنة 1947 م، أحالت بريطانيا تلك المسألة إلى هيئة الأمم المتحدة، وأن ذلك يعني تنازل بريطانيا عن انتدابها لفلسطين. ونتيجة لفشل العرب في نكبة فلسطين عام 1948م.، وقد صاحب ذلك شعوراً من الغضب ضد المصالح الغربية والصهيونية.

الوثبة

Trimple

في آذار (مارس)، 1947 م.، أصبح السيد صالح جبر أول رئيس وزراء شيعي، ولقد بدأ عمله بإلغاء معاهدة 1930 م.، وأن الحديث بتلك المسألة بدأ سرياً، بسبب الخوف من الجماهير عند الإعلان عن الإلغاء والتفاوض في آن واحد، حيث أن ذلك سيفجر الوضع في الشارع العراقي، وتحرك مواضيع سياسية أخرى، مثل المطالبة بإنهاء كل أشكال النفوذ البريطاني.

وفي بداية كانون الثاني (يناير)، 1948 م.، علم معظم العراقيين، أن المفاوضات حول تلك المعاهدة قد بدأت وقد تم التوقيع عليها في الميناء البريطاني (بورت سموث)، في كانون اللثاني (يناير)، 1948 م.، وصارت مفرداتها بصورة عامة معروفة، ومنها :

1- وعدت المعاهدة بسحب القوى العسكرية من العراق.
2- إعادة القاعدتين في الحبانية والشعيبة، إلى القوة العسكرية العراقية.
3- ربط أمور الدفاع بين بريطانيا والعراق لمراقبة الخطط العسكرية.
4- السماح بعودة بريطانيا العظمى إلى قواعدها الحربية السابقة وقت الحرب.
5- سيبقى العراق مرتبطاً ببريطانيا لتكون له سنداً، وتدرب قواته العسكرية.
6- تستمر المعاهدة لغاية 1970 م.، أي لمدة عشرين سنة.

كان رئيس الوزراء (صالح جبر)، في ذلك الوقت في الميناء البريطاني (بورت سميث)، بالقرب من لندن، عاصمة المملكة البريطانية، لإنهاء المعاهدة القديمة والتوقيع على المعاهدة الجديدة. وعلى أية حال، فإن تلك المعاهدة سببت في هياج جماهير

بغداد. كذلك، جميع الأحزاب المعارضة طلبت من الجماهير بالوقوف ضد المعاهدة. وهكذا، بدأت المسيرات والمظاهرات، واستمرت طيلة الأسبوع، وهي تطالب بإلغاء المعاهدة، وقد أساءت تلك الحالة لمركز السيد صالح جبر.

وفي أحد الأيام، وبعد عودة السيد صالح جبر إلى بغداد، حدثت أكبر مسيرة لتظاهرات في شوارع بغداد، وقد تصدت لها الشرطة العراقية.، وأطلق اسم (الوثبة)، على تلك المسيرات والتظاهرات الصاخبة.

بدأت الوثبة عندما حرض حزب الاستقلال طلبة الكليات والثانويات في بغداد ووجهوا لهم النداء للذهاب لكلية الحقوق، للاعتصام هناك، وقد كنت شخصياً أحد المشاركين في ذلك الاعتصام، عندما كنت طالباً في ثانوية الكرخ، لم أتجاوز السادسة عشر من عمري.

ولأول مرة عرفوا العراقيون التصدي لمشاكلهم بعيداً عن الطائفية والحزبية، وإن أبرز تلك الأحداث، كانت قد اندلعت في 27 كانون الثاني (ديسمبر)، 1948، حينما زحفت جموع غفيرة من أهالي الكرخ، وتوجهت عبرالجسر القديم، (سمي فيما بعد، بجسر الشهداء)، إلى الجانب الثاني من نهر دجلة، (صوب الرصافة)، وعلى أية حال، قامت الشرطة المتمركزة على المنارة بالقرب من الجسر بجانب الرصافة، وأمطرت المتظاهرين وهم في منتصف الجسر، بوابل من رصاص بنادقهم وبشكل عشوائي، مما أدى إلى سقوط ضحايا وقتلى، بقصد منع التظاهرة من عبور الجسر والوصول إلى مجلس الوززراء في جانب الرصافة.

ونتيجة لذلك الغدر من السلطة، سقط العشرات بين قتيل وجريح. إلا أن تلك الإصابات لم تثني عزيمة الأهالي واستأنفوا مسيرتهم، وكان من بينهم فتاة في مقتبل العمر، وآية في الجمال، حفزت الطلبة والجماهير بأهازيجها الشعبية، والجماهير تردد كلماتها بغضب شديد غير مبالين بأصوات الرصاص، حتى وصلوا إلى جانب الرصافة. وأجبرت تلك الجموع الغاضبة الشرطة على الهروب. وقد أطلقت ادبيات تلك الفترة على تلك الصبية البطلة التي قادت آلاف المتظاهربن، اسم (فتاة الجسر).

شعرت الحكومة القائمة آنذاك بسيطرة المعارضة على كافة شوارع بغداد، ولذا فكر بعضهم باستدعاء الجيش العراقي، إلا أن احد المسؤولين تنبه لخطورة تلك الفكرة، لأن جميع أفراد الجيش العراقي، هم من أفراد الشعب العراقي وتطابق آرائهم مع المعارضة في رفض معاهدة بورت سموث، وسوف يتضامنون مع الجموع الشعبية المحتلة لشوارع بغداد.

إن تظاهرات الطلبة في الوثبة، كانت البذرة الأولى التي نبت منها تنظيم الضباط الأحرار، (الذي فجر ثورة الرابع عشر من تموز 1958 م)، كما أن نكبة فلسطين، في نفس تلك السنة (1948)، التي أدت إلى هزيمة سبع دول عربية أمام إسرائيل، قد زادت من نقمة الشعب العراقي على حكامه.

تنصل الوصي عبدالإله عن معاهدة بورت سموث، في اليوم التالي لعودة السيد صالح جبر إلى بغداد، وقد سارت في ذلك اليوم، أكبر مظاهرات جماهير مرددة لأناشيد حماسية، إلا أن الشرطة العراقية أطلقت النيران عليها، مسببة لكارثة مفجعة. ولهذا قدم السيد صالح جبر استقالته من رئاسة مجلس الوزراء، واستدعى الوصي على عرش العراق، السيد محمد الصدر، وهو من رجال السياسة الشيعة المحنكين، لتشكيل وزارة تضم معظم الوزراء في وزارة السيد صالح جبر المستقيلة.

لقد كان الوصي عبدالإله في غاية الحساسية من المسألة الطائفية، وأراد بهذا التعيين أن يطوق أية فتنة من هذا النوع خلال المظاهرات التي كانت تجوب شوارع بغداد. وعلى أية حال، فإن المظاهرات الهائجة ضد الحكومة، قد ساعدت في احتمال إزاحة السيد صالح جبر، حتى من قبل عودته إلى بغداد، وقد أطلق عليه لقب عميل بريطاني.

كما أن غضب الجماهير قد أتاح الفرصة والحق إلى الأحزاب الوطنية المعارضة، للفت نظر السلطة لتحقيق العدالة في العديد من المظالم، مثل، إلغاء العديد من الدعاوي الحكومية، وفساد الحكم الملكي، وضعف الحكومة، وتدهور الوضع الاقتصادي لمعظم العراقيين.

وفي سنة 1953، صار عمر الملك فيصل الثاني 18 سنة، ورسميا استلم سلطاته، إلا أن ذلك لم يغير من الوضع السيئ للعهد، الذي ورثه من خاله عبدالإله والسياسي المخضرم نوري السعيد.

ثورة الرابع عشر من تموز 1958

July 14 ،1958 Revolution

أسباب اندلاع الثورة

1- عدم نجاح ثورة نيسان (إبريل)، 1941 م. التي قادها الجيش العراقي ضد قوات الاحتلال البريطانية.

2- تأثيرات السفارة البريطانية في بغداد على النظام العراقي، وظلم الإقطاعيين.

3- معظم الحكومات العربية كانت تقضي على أية مقاومة شعبية ترغب في التحرر من الاستعمار البريطاني.

4- الكآبة والإحباط اللذان أصيب بها الشعب العراقي نتيجة النكسة في فلسطين في سنة 1948 م.

5- ارتباط الحكومة العراقية بحلف بغداد، دفع النظام العراقي إلى إشهار العداء على الاتحاد السوفيتي السابق.

6- مساندة الحكومة لشيوخ الإقطاع، وفر الغنى لهم.

شاهد عيان على ثورة الرابع عشر من تموز 1958

في العطلة الصيفية، كنت في مدينة الشطرة، مسقط رأسي، في جنوب العراق. وفي الرابع عشر من تموز (يوليو)، 1958، في الصباح الباكر، سمعت صراخاً غير طبيعي قادم من ناحية سوق المدينة، فنهضت مذعوراً أو قل بفزع شديد، ووجدت أمام عيني بن عمي، وأعلمني بصوت عال، أن الجيش قتل الملك فيصل الثاني، والآن وفي كافة مدن العراق تسير المظاهرات الوطنية، مخترقة شوارعها.

في البداية لم استوعب الخبر، ولقد ارتعش بدني، على الرغم من تنبأ القادة السياسيين في المعارضة، ولذا قررت السفر فوراً إلى بغداد.

وعلى أية حال، وعندما وصلت بغداد، توجهت للبحث عن الأصدقاء في مقهى وسط المدينة، إلا أنني لم أجد أياً منهم، حيث كانوا يشاركون في المظاهرات الشعبية في شوارع المدينة. وهكذا، ومن دون وعي، تبعت الأصدقاء من أجل مناصرة الثوار، ومن دون أن يكون لي علم بقادة الثورة !

وبعد وقت قصير، استمعت إلى محطة إذاعة بغداد، من راديو أحد المقاهي، حيث كانت الإذاعة تبث الأناشيد الوطنية، ثم أذيع بيان يحرض الجماهير بالتوجه نحو قصر الرحاب، (الذي تقيم فيه الأسرة المالكة)، ثم نقل الراديو حادثاً مأساوياً، وأن القصة الحقيقية لتلك الفاجعة، كما سمعتها وقرأت حولها في مراجع موثوق بها يمكن تلخيصها كما يلي :

عندما وصلت الجماهير العراقية الهائجة إلى دار الملك، فإن الملك فيصل الثاني وجميع أفراد العائلة المالكة حاملين الرايات البيضاء، وواجهوا الجماهير، إلا أنه ولسوء حظ العائلة المالكة، فتح أحد حراس القصر الملكي النار على المهاجمين، فاعتقد المهاجمون بوجود مؤآمرة، أو قل خدعة ملكية للقضاء على المهاجمين، ولهذا، قام أحد الضباط من بين المهاجمين بتصرف شخصي، وأطلق النار على العائلة المالكة عشوائياً.

ولقد أصيب الملك إصابة بليغة، وقتل كافة أفراد العائلة المالكة، عدا زوجة الوصي عبدالإله. وقد توفى الملك في المستشفى بعد محاولات يائسة لإنقاذه، ولكن من دون جدوى.

عم الأسى كافة شرائح الشعب العراقي لوفاة الملك فيصل الثاني، حيث ما زال في مقتبل العمر، ولم تمض أكثر من سنتين لجلوسه على العرش. ومن سخرية القدر أن ذلك اليوم كان معداً لسفر الملك ومعظم أفراد العائلة المالكة، إلى مدينة اسطنبول في تركيا، لإتمام مراسيم عقد قران الملك فيصل الثاني على خطيبته كريمة أحد الأعيان الأتراك المشهورين .كان الشباب العراقي محباً للملك اليافع، وكلهم أمل في قيادته لهم إلى أعلى المستويات، من النجاح والتقدم.

كان الأمل يحدوهم، بقدرة الملك الشاب على عزل الوصي خاله عبدالإله، والذي ينتمي إلى القوة المقنعة أو قل القابعة تحت الانتداب البريطاني منذ اغتيال والده الملك غازي الأول، نتيجة عمل تخريبي تعرض له عندما تحطمت سيارته بعمود الكهرباء، وقد زعموا في حينه أنه حادث عرضي.

لم يحب العراقيون الوصي عبدالإله، لاعتقادهم بأنه وجميع رفاقه في الحكومة، كانت لهم علاقة في اغتيال الملك غازي وإعدام العديد من الضباط العراقيين الذين ثاروا ضد المحتل البريطاني، ولهذا السبب، علقجثمانه على بوابة وزارة الدفاع.



السيد نوري السعيد، آخر رئيس للوزراء قبل ثورة الرابع عشر من تموز 1958م.

أما نوري السعيد، فقد هرب من الجماهير الغاضبة، وغادر بيته الكائن في منطقة السكك في (الكرخ) بغداد بواسطة زورق (بلم)، إلى الجانب الآخر من نهر دجلة (الرصافة)، حيث قرر التوجه إلى السفارة الأمريكية في منطقة العلوية، ولكن، تقدرون وتضحك الأقدار، ... وعلى أية حال، وحينما وقعت عينه على جمع من الناس في محطة الزوارق في الشريعة، أمر صاحب الزورق بالعودة ثانية إلى جانب الكرخ مرة اخرى، ومن ثم توجه مسرعاً إلى بيت صديقه. وهكذا وبعد أن تم له تغيير موقعه، قرر التوجه إلى بيت احد أصدقائه من عائلة الأستربادي، في مدينة الكاظمية المقدسة. وهناك، وفي ذلك البيت قال مقولته الشهيرة : إذا لم يتدخل الإنكليز لإنقاذ مايمكن إنقاذه، والقضاء على النظام الجديد، فإن قائد الثورة الزعيم عبدالكريم قاسم، هو رجل بريطانيا.

وفي اليوم التالي، توجه إلى بيت صديق آخر، في منطقة السعدون، والتي كانت تعتبر مركز بغداد، من أجل الوصول إلى السفارة الأمريكية، متنكراً بالزي الشعبي للمرأة العراقية (العباية والبوشي)، والذي ترديه المرأة عندما تغادر بيتها لزيارة أهلها أو

لأداء عمل ما، أو للتسوق من الأسواق الشعبية، وحتى بعض طالبات الكليات كن يرتدين ذلك الزي خارج الحرم الجامعي.

إلا أن النحس ظل ملازماً لذلك الداهية المخضرم، حيث أن أحد أبناء ذلك الصديق الذي التجأ إليه، وشى به، وهكذا، وبعد أن خرج نوري السعيد وهو مرتدياً زي المرأة العراقية الشعبية، وبحذاء رجل، ولذا لفت ذلك الزي نظر أحد رجال الأمن في الشارع، حيث لم يكن ذلك المنظر مؤلوفاً، ولذا سار خلفه، أو قل خلفها، وما أن تيقن أن الشخص الذي أمامه، هو رجل وليس امرأة، وقد أدرك وبسبب التعليمات الصادرة للجهاز السري، تكهن بأن الشخص الذي أمامه، هو نوري السعيد، فارتباك وبان المستور، ثم أطلق العميل الحكومي النار على نوري السعيد وأرداه قتيلاً في الحال، وكن ذلك في 16 تموز (جولاي)، سنة 1958 م.

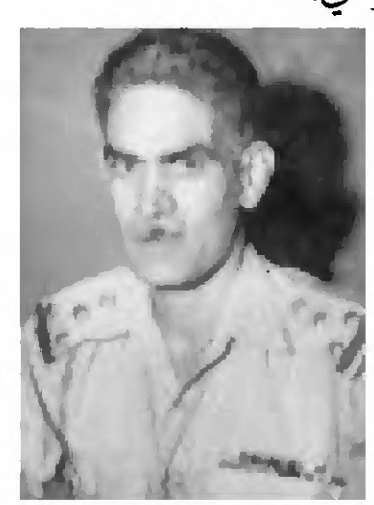
لقد تمنى العراقيون أن تكون ثورة تموز 1958 م. آخر حلقة في مسلسل الاستعمار، وأن تزيل الظلم عن كاهل الشعب العراقي.

الدقائق الأولى لاندلاع ثورة تموز 1958

The First Minute of Explosive 14 July ،1958

استيقظ العراقيون على وضع جديد في بغداد، ففي الساعة السادسة من صباح الرابع عشر من تموز 1958، أعلن راديو يغداد، " أيها المواطنون، ياجماهير بغداد، لقد انتهى العهد الملكي وانبثق العهد الجمهوري وهكذا احتشدت الجماهير الثائرة، مبتهجة بسقوط النظام الملكي. ولم تشاهد أية قطعات عسكرية تفرض نفسها للفصل بين النظام السابق وبين الضباط الأحرار. وأصبح مخطط الثورة أصبح واضحاً، وأذيعت أسماء المسؤولين الكبار لمجلس السيادة، من شخصيات عراقية بارزة، مثل السادة التالية أسمائهم :

1- محمد نجيب الربيعي، رئيساً لمجلس السيادة. (سني عربي).
2- محمد مهدي كبة، عضو مجلس السيادة، (شيعي عربي).
3- خالد النقشبنتي، عضو مجلس السيادة، (سني كردي).


عبدالكريم قاسم، قائد ثورة الرابع عشر من تموز

تكونت الحكومة العراقية الجديدة من الزعيم عبد الكريم قاسم، ووزيراً للدفاع، والعقيد عبد السلام عارف، نائب رئيس الوزراء، ووزيراً للداخلية. (سني عربي).

بطل ثورة الرابع عشر من تموز هو عبدالكريم قاسم، ومن أبرز أهدافه المثالية، جعل العراق قطراً مثالياً.

وهو ابن رجل (سني عربي)، وأم (شيعيه كردية- فولية)، وعلى أية حال، فقد ذكرت بعض المصادر، أن عبدالكريم قاسم من أب (شيعي عربي)، حيث قال عند زيارته لآية الله السيد الحكيم، المرجع الشيعي، في المستشفى في بغداد، وقال له :" إنني واحد منكم".

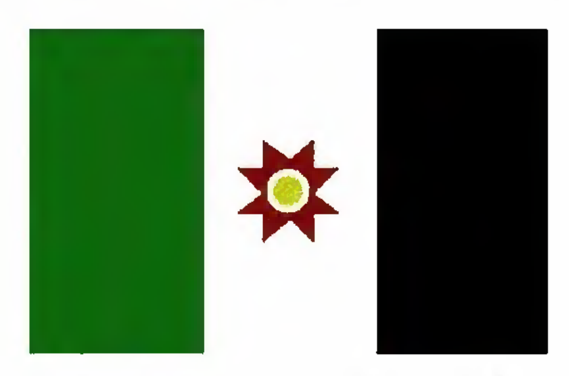


شعار الجمهورية العراقية بعد ثورة الرابع عشر من تموز.

صار جلياً ولاء العراق إلى الزعيم عبدالكريم قاسم، وليس إلى البلاد العربية تحت قيادة جمال عبدالناصر، قائد ثورة 23 تموز (جولاي)، 1952 في مصر. إلا أن عبدالسلام عارف استقطب الجماهير المتحمسة للوحدة العربية والاتحاد الفوري مع مصر عبد الناصر.

وبعد أقل من شهرين من نجاح ثورة الرابع عشر من تموز 1958، اختفى عبدالسلام من مركزه القيادي في ثورة تموز، بسبب الاختلاف الفكري، (الآيديولوجي)، مع عبدالكريم قاسم حول هوية العراق. والأكثر من هذا فقد عمل قاسم على منع القاهرة من أن تكون عاصمة الأمم العربية المتحدة. وبتلك الوسيلة، أثار غضب جمال عبدالناصر، وقام بتهديده بواسطة الناصريين والعديد من ضباط الجيش العراقي، ولذا تحول قاسم إلى الشيوعيين لحماية نفسه، ومن الجدير بالذكر أن معظم الشيوعيون في العراق كانوا من الشيعية والكرد، حيث يكونان معا حوالي 80٪ من مقاعد اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي.

اندفع قاسم لإعادة النظر في الحالة الاقتصادية والاجتماعية في نظام الحزب الشيوعي في العراق، بينما طالب الناصريون بالوحدة الفورية مع مصر.



أول علم للجمهورية العراقية.

انقسم العراقيون إلى قسمين، القسم الأول يتكون من الأصوات التي تحرض العراقيين العرب للولاء إلى جمال عبدالناصر، ضد عبدالكريم قاسم، وقسم آخر، يتكون من الشيوعيون الذين تربعوا أعلى المراكز في الوزارات الاقتصادية، والتعليم، والحقوق. كما صار واضحاً، للاتجاه مسيرة الوطن نحو اليسار، على الرغم من الجماهير الغفيرة من المعادين للشيوعية من القوميين العرب وضباط الجيش العراقي. فجرت تلك الظروف، مجموعة من الضباط للمحاولة بانقلاب ضد عبدالكريم قاسم، في مدينة الموصل، سنة 1959، حيث بدأ بالمكاشفة بين المؤيدين القوميين العرب الناصريين، وعبدالكريم قاسم، والذي بدأ بسماع هتافات في المظاهرات التي جابت شوارع بغداد كل يوم تقريباً، وقد كان بعضهم يردد :

"وحدة، ...وحدة، .... يا سلام"، أي أننا نطالب عبدالسلام عارف بإعلان الوحدة الفورية مع مصر العربية.

أما الفئة الأخرى، فإنها تنادي :

"اتحاد فدرالي ..... صداقة سوفتية "، وهذا يعني، أنهم يطالبون عبدالكريم قاسم بالفدرالية وصداقة مع الاتحاد السوفيتي، آنذاك، وروسيا الاتحادية في الوقت الحاضر.

إن تلك الهتافات أعلاه، وسعت من الخلافات بين قطبي قادة الثورة، عبدالكريم

قاسم وعبدالسلام عارف، بدأ الصراع سرياً، أو قل بشكل خفي، وبعد ذلك صار علنياً. وقد حدثت المواجهة العلنية عند إعلان قانون الإصلاح الزراعي، . واستنادا إلى ذلك القانون، فإن شيوخ العشائر قد فقدوا قوتهم ومراكزهم الاجتماعية، حيث بموجب هذا القانون، قسمت أراضيهم إلى أجزاء صغيرة وزعت على الفلاحين.

أحدث ذلك القانون هزة عنيفة بين كبار الإقطاعين، ولذا توجه العديد منهم نحو بغداد والمدن العراقيةالكبرى، مكونين جبهة معارضة واسعة ضد قائد الثورة عبدالكريم قاسم.



قاسم وعارف، في بداية ثورة الرابع عشر من تموز، كصديقين، إلا أن خلافهما قسم الشعب العراقي

ولقد ازداد ذلك الوضع تعقيداً، عندما أعلن السيد الحكيم، (المرجع الشيعي الأعلى)، فتوى دينية اعتبرت (الشيوعية كفر وإلحاد). وقد دفع ذلك الحزب الشيوعي العراقي والأحزاب التقدمية الأخرى، إلى إتمام قبضتها على نقابات العمال والفلاحين واتحاد الطلبة.

إن التصريح الذي أدلى به سماحة السيد الحكيم، المرجع الأعلى للشيعة في مدينة النجف الأشرف، (العاصمة الروحية لشيعة العالم)، كسب تأييد واسع النطاق من أهل السنة، على الرغم من تصريح عبدالكريم قاسم بأنه شيعي.

كان الزعيم عبدالكريم قاسم قادراً على تحدي المعارضة لعدة أسباب، من أهمها،

اعتقاده بعدم وجود أية فئة لها قدرة التأثير على نظامه. وعلى أية حال، فقد كان مخطئاً في تقديره، وكانت النتيجة عكس فكرته. كما أنه تحول وفق رؤية بعض المحللين، من قائد عسكري كتوم ومتواضع، إلى دكتاتور بنظر معارضيه !

ونتيجة لتلك الظروف، تعرض الزعيم قاسم إلى محاولة اغتيال، في تشرين الثاني (أكتوبر)، 1959. وعلى أية حال، وقبل تطور التوتر بينه وبين عبدالسلام عارف، حيث كان كلاً منهما يعتقد بأنه أحق من غيره. كان عبدالسلام عارف واثقاً من أنه هو القائد للضباط الأحرار، حيث أنه اول من اجتاح بغداد في صباح يوم الرابع عشر من تموز 1958، ولذا يعتبر نفسه، هو قائد للثورة.

كان العقيد عبدالسلام عارف من أشد المعجبين بالرئيس جمال عبدالناصر، وتراءى له إمكانية ربط العراق بالمسيرة القومية ووحدة العراق الفورية مع الجمهورية العربية المتحدة (مصر وسوريا)، معتقداً أن ذلك سيحمي النظام الحديث في العراق ويحقق الوحدة العربية، حلم الأمة العربية الذي طال انتظاره.

وعلى أية حال، فإن الزعيم عبدالكريم قاسم، ينظر للوحدة بعين العطف، وغير نافر منها، إلا أنه لا يريدها فورية بنفس رؤيا الأحزاب القومية والوطنية، وإن بناء المصالح القومية المشتركة مع العالم العربي، يجب أن تسبقه عدة مواثيق قبل الولوج بالوحدة الفورية.

كما أن عبدالكريم قاسم كان على علم تام بطموحات رفيق عمره العقيد عبد السلام عارف، ولهذا، وفي أيلول (سبتمبر)، 1958، أقاله من كل مراكزه القيادية، ثم نفاه إلى خارج العراق كسفير للعراق في ألمانيا الاتحادية. ولقد كان لذلك الحدث صداه المدوي، وسبب في انقسام العراقيين إلى قسمين.

وبعد وقت قصير، ضمن قاسم عودة، الزعيم الكردي، السيد مصطفى البرزاني، من منفاه في الاتحاد السوفيتي، وإحياء الحزب الكردي الوطني الديمقراطي. كما أفلح قاسم في عودة الروح للحزب الشيوعي العراقي، ليكون بمواجهة خصومه من القوميين العرب. وعلى أية حال، فقد سمح للحزب الشيوعي بإصدار صحيفة الحزب علنياً،

وعمل على تنشيط الأحزاب الموالية لأنصار السلام، ورابطة حقوق المرأة واتحاد الفلاحين والشبيبة العراقية، واتحاد الطلبة.

وفي آذار (مارس)، 1959، أقام الحزب الشيوعي مهرجاناً للسلام في مدينة الموصل (ثالث أكبر المدن العراقية في شمال العراق)، مما أثار محاولة انقلاب لدى الضباط الأحرار من القوميين العرب في حامية موقع الموصل، بقيادة عبدالوهاب الشواف. إلا أنه لم يوفق وتم القضاء على تلك المحاولة بسرعة.

أصبح الحزب الشيوعي أكثر فعالية، وقد ثبت حضوره في كافة الفعاليات السياسية. وفي أيار (مايو) 1959خرجت جماهير غفيرة من أهالي بغداد والمحافظات المجاورة لها، في مظاهرات صاخبة، جابت شوارع بغداد هاتفة بمطالبة قاسم بضم الحزب الشيوعي للحكومة العراقية، وإجراء انتخابات مبكرة والسماح للحزب الشيوعي إلى قبة البرلمان. وقد كانت هتافاتهم وأهازيجهم تردد " سبع ملايين تريد الحزب الشيوعي بالحكم "، (فقد كان تعداد النفوس في العراق في ذلك الحين سبعة ملايين). ولذا، فإن هذا الموقف الجديد دفع بقاسم إلى الحذر من الحزب الشيوعي. وعلى أية حال، فإنه حاول أن يضع الحزب تحت الأختبار، وقربه من الحكومة، حيث عين عضو من الحزب الشيوعي، وهي، الدكتورة نزيهة الدليمي كوزيرة للبلديات، إضافة إلى عضوين من الحزب الشيوعي في مراكز حكومية مرموقة. وقد تبين لقادة الحزب الشيوعي أن تلك المكاسب قد تساعدهم على تغيير طريقة حكم عبد الكريم قاسم، ومن ثم تنمو لديهم القابلية لتحديه. إلا أن حزب البعث آنذاك، لم يرى وسيلة لإزاحة قاسم سوى اغتياله.

وهكذا، وبعد مرور دقائق على الساعة السادسة مساءاً، ليوم السابع من تشرين الأول (أكتوبر)، 1959، (وبعد تنفيذ الإعدامات بحق العسكريين المسؤولين عن ثورة الموصل)، قام البعثيون بمحاولة اغتيال غير ناجحة لعبدالكريم قاسم في شارع الرشيد في منطقة السنك، وقد أدت تلك العملية إلى توقيف وتطهير عدد من المسؤولين والمؤيدين لحزب البعث.

وبعد معالجة الزعيم عبدالكريم قاسم من إصابته الخطيرة في ذراعه في مستشفى السلام في بغداد، غادر المستشفى بعد ثمانية أسابيع. وقد انطلقت بعد الإعلان عن محاولة الاغتيال، مظاهرات جابت شوارع بغداد وهي تهتف بأهازيج حماسية، مثل "عاش تضامن الجيش ويا الشعب، وأرواحنا، فدوّه لابن قاسم".

وعلى أية حال، فإن تلك المظاهرات، لم تتمكن من إلغاء حقيقة قوة قاسم السياسية ما زالت معتمدة على ثقته من مساندة ضباط الفيالق العسكرية له.

قام قاسم بمناورات متعددة لضرب وتنافس الكتل السياسية مع بعضها البعض، ليحمي العراق من هيمنة جمال عبدالناصر، ويبقى هو القائد الأوحد الذي يملك القوة. وقد كان يعمل طيلة 20 ساعة يومياً، في مقر عمله وسكنه في وزارة الدفاع في باب المعظم، ولم يكن له سكن خاص، وعاش ومات وهو بالبدلة العسكرية.

وفي كانون الثاني (يناير)، 1960، كان عدد قليل من الأحزاب قد حصل على إجازة ممارسة العمل الحزبي. وقد اشتملت تلك الأحزاب على الحزب الوطني الديمقراطي، والحزب الوطني الكردستاني، كما أن الحزب الشيوعي العراقي قدم إيضا للحصول على الإجازة ليكون كحزب سياسي قانوناً، إلا أن قاسم منع ذلك.

وفي ربيع سنة 1962، أضاف الكرد قوتهم إلى القوى المعارضة لحكم عبدالكريم قاسم، وقد ظهر عامل آخرفي ذلك الوضع المضطرب، حيث عقد الشيوعيون والقوى الوطنية التقدمية الأخرى، حلفاً غير معلن مع عبدالكريم قاسم، بينما وقف الناصريون والبعثيون على الجانب الآخر.

أسباب فشل ثورة الرابع عشر من تموز 1958

The Reason of the July Failure

1- مقاتلة الثوار واتهام بعضهم البعض بالانحراف عن خط الثورة.

2- إبعاد العديد من رجال الثورة، وتفرد الزعيم عبدالكريم قاسم بالقرارات، مما حمل العديد من الجهات المعارضة للتخطيط والخلاص منه.

3- فشل ثورة الشواف في الموصل، وزج الآلاف من المؤيدين لها في السجون، وبخاصة في مدينة الموصل، مما ولد الحقد في نفوس شريحة كبيرة من المواطنين، ولم يكتفوا بالاحتجاج والشعارات المعادية بل نادوا بالانتقام منه ومن كل أعوانه.

4- الانقسام داخل ضباط الثورة نفسها، نتيجة إلى التطاحن الحزبي والعقائدي وخاصة بعد انهيار جبهة الاتحاد الوطني التي أطاحت بالحكم الملكي.

ثورة الثامن من شباط 1963

February 8, 1963 Revolution

استلم عبدالكريم قاسم تقريراً من شبكة الإعلام الخاصة به، تحذره من وجود مؤامرة، مما حدى به إلى أن يصدر أوامره بتوقيف أعضاء من حزب البعث البارزين. وعلى أية حال، فإن القائمين على ثورة ثمانية شباط اغتالوا اللواء جلال الأوقاتي، قائد القوة العسكرية، وهاجموا القاعدة العسكرية في معسكر الرشيد، وفي نفس الوقت توجهت وحداتهم العسكرية نحو بغداد. عندئذ، أذاعت الحكومة المركزية في بغداد عبر تليفزيون، بغداد نبأ الانقلاب، وهاجت جماهير غفيرة من الشعب، وحرك الحزب الشيوعي الآلاف من كوادره، للدفاع عن نظام عبدالكريم قاسم.

من الصدف النادرة التي حدثت معي، أن أكون صباح يوم الثامن من شباط أحد المغادرين جواً من بغداد إلى موسكو، بعد قضاء العطلة الربيعية في ربوع الوطن !

وفي مساء ذلك اليوم، وما أن انتهيت من الإجراءات الروتينية عند شراء تذكرة السفر من شركة طيران أمريكية اسمها "بان أمريكان"، قال لي مدير المبيعات العراقي : إن الطيارة التي ستقلك ستصل صباحاً في حدود الساعة التاسعة من طهران، ولربما ستتأخر، عندئذ نسفرك على طائرة خطوط جوية أخرى ! لم أعر تلك الملاحظة من بائع التذاكر أية أهمية، واعتبرتها أمراً اعتيادياً تحدث من باب الاحتراس. وعلى أية حال، أكملت إجراءات السفر قبل الساعة التاسعة، وبدأت بتوديع المرافقين، وفي تمام الساعة التاسعة سمعنا مكبر الصوت في صالة الانتظار بالمطار، يعلن غلق المطار ومنع مغادرة أية طائرة!! ..

امتثل الجميع إلى الأمر المعلن، وبدأ المسؤولون والأمن العسكري في المطار بحث الأهالي بالمغادرة، والكل يتسائل عن السبب، وسمعت من يقول، انقلاب عسكري، .. عبدالكريم قاسم قتل، ..وغير ذلك من الأقوال الرافضة لما يحدث، وما أن خرج الجميع من بناية المطار، حتى شاهدوا في سماء بغداد، وفي تمام الساعة التاسعة صباحاً، طائرة عسكرية تحوم فوق بناية وزارة الدفاع، مقر عمل وسكن الزعيم عبدالكريم قاسم وتلى ذلك انفجار مدوٍ، وبهذا لم يبقى أمامي سوى مغادرة المكان بأسرع ما يمكن.

كان برفقتي أخي الأكبر، وكان يشغل وظيفة بارزة في المطار، وبهذا تمكن من استرجاع حقائبي بسرعة، وتمكنا من ترك المكان للخطورة المتوقعة من تبادل القصف مع الطائرة المغيرة على مركز بغداد في حينها.

وفي طريق العودة الذي يخترق الأعظمية، وما أن وصلنا بالقرب من الجسر الحديدي حتى اعترضتنا مظاهرة لبضع مئات من الشباب وفي يد بعضهم غدارة، وهم يرددون هتافات مدوية، ضد نظام قاسم، وقد كانت وجهتهم نحو وزارة الدفاع الواقعة في باب المعظم، في بداية شارع الرشيد، الذي يعتبر من أشهر وأقدم شوارع العاصمة بغداد.

وعند وصولنا دار أخي، شاهدنا تلفزيون بغداد واستمعنا إلى محطات عربية وعالمية متعددة، وبدأنا نعلم عما حدث ويحدث ساعة بساعة. وعلمنا أن قاسم ما زال حياً يرزق، ... ولقد كان ذلك اليوم هو الجمعة، وهو يوم العطلة الرسمية في العراق. وبعد وقت قصير من اندلاع الأحداث، فأن معظم أتباع النظام القاسمي المتكونين من 1500 شخص، جلهم من الحماية الشخصية للزعيم عبدالكريم قاسم، والفلاحين والعمال والحرفيين، وهم في مظاهرة صاخبة، وهم على أتم الاستعداد للمواجهة والقتال من أجل حماية الزعيم قاسم، لم يرى أي أحد النوم تلك الليلة في بغداد أو المدن العراقية الكبرى.

وفي يوم السبت، الموافق، للتاسع من شهر شباط (فبراير)، وعند الساعة 12.30 بعد الظهر، كان قد ألقي القبض على عبدالكريم قاسم، وكافة المسؤولين في نظامه،

واقتيدوا إلى دار التلفزيون الحكومي في بغداد الصالحية، وأدخلوا إلى قاعة الموسيقى، حيث خضعوا لمحاكمة صورية وسريعة وحكموا على عبدالكريم قاسم ورفاقه بالموت وقد شاهد العراقيون منظر القادة وهم مقيدين على الكراسي، وقد فارقوا الحياة. ومن المؤلم ووفق الخلق العربي الإسلامي، أن نرى شخصاً من الجماعة التي نفذت حكم الإعدام، يمسك قاسم من شعر رأسه ويسحبه إلى الخلف بحركة مشينة، وقد سمعت بعد سنين معاقبة ذلك الشخص عائلياً.

تكون نظام الحكم الجديد، من المجلس الوطني لقيادة الثورة، السلطة فيه موزعة بين العسكريين وقيادة البعث وتم التوافق على تعيين العقيد عبدالسلام عارف رئيساً للجمهورية، وأحمد حسن البكر رئيساً للوزراء.

وبعد استتباب الوضع الجديد، تكونت لجان خاصة تضم بعض المئات من البعثيين في منطقة الأعظمية، أطلق عليها اسم، الحرس القومي، من أجل الدفاع عن النظام الجديد ضد أي احتمال لتهديده، وبحدود بضعة أسابيع تم القضاء على أعداد كبيرة من الماركسين والمؤيدين للنظام السابق والمعارضين للنظام الجديد، من الذين يشكلون تهديداً للنظام الجديد، وفي العاشر من حزيران (جون)، 1963، أدى تمرد الكرد إلى مهاجمة الحكم االبعثي لهم، وعلى أية حال، فقد قامت الدبابات والطائرات العمودية المصفحة بتدمير القرى وقتل المئات من الرجال والنساء والأطفال. انقسم حزب البعث إلى عدة تيارات، منها اليساري، ومعظمه من الشيعة، وآخر يميني، يشمل كلتي الطائفتين، وأما التيار الثالث، فقد ترأسه الجنرال أحمد حسن البكرمع زمرة من رفاقه، معظمهم من السُنة.

وفي الثامن عشرمن تشرين الأول (أكتوبر)، 1963، قامت مجموعة من ضباط الجيش، مع بعض البعثيين المتمردين على الحزب، تصحبهم الدبابات لحراسة المناطق الاستراتيجية في بغداد. ثم أطلقوا الصواريخ باتجاه مركز قيادة الحرس القومي التابع لحزب البعث.، وصدرت الأوامر للجنود لتطويق المقر وإلقاء القبض على قادة حزب البعث. إن تلك الحركة العسكرية أدت إلى إقصاء البعثيين من الحكومة، وصارالنظام الجديد تحت حكم عبدالسلام عارف وحده.

بدأ التفكير عند القادة الجدد بصدد الوحدة مع العالم العربي، وهل من الأفضل إعلانه الآن أم وضعه جانباً في القوت الحاضر. إلا أن هشاشة النظام الجديد وضعفه، أوحى إلى البعثيين في أيلول (سبتمبر)، 1964، بمهاجمة مواطن القوة للنظام في عملية انقلابية أخرى، حيث تأجج الخلاف العقائدي بين عبدالسلام عارف وبين قادة حزب البعث، أدى إلى التصادم المسلح بينهما، وقد أسفر ذلك التناحر عن زعزة النظام الجديد، وهكذا نشطت المعارضة من القوى المناوئة التي كانت تساند نظام عبدالكريم قاسم، وتوحدت مع بعض الأحزاب التقدمية للإطاحة بالنظام العارفي.

توفى عبدالسلام عارف نتيجة لتحطم الطائرة العمودية التي كان يستقلها في رحلة داخلية في جنوب العراق، بسبب عاصفة رملية. ولم تدع أية جهة المسؤولية، بالرغم من توجيه أصابع الاتهام للبعثيين، وفي الحال حل محله شقيقه عبدالرحمن عارف.



العلم العراقي في فترة حكم عبدالسلام عارف.

نظام عبدالرحمن عارف

Abdul Rahman Arif Rigime

بعد انتهاء نظام عبدالسلام عارف، عندما وافته المنية، إثر تحطم طائرته، على إثر هبوب عاصفة رملية في 13 نيسان (ابريل)، 1966، واستقر الرأي على تولي الحكم من بعده أخوه الأكبر عبدالرحمن عارف، بمعية عبدالرحمن البزاز كرئيساً للوزراء.

كان عبد الرحمن عارف رجلا متواضعاً، وطيب الأخلاق. وقد كانت فترة إدارته الحكم في العراق قصيرة.

وكرس فترة حكمه لدعم قوة الجيش أكثر من حركة القوميين العرب أو الوحدة مع مصر.

كان البزاز محام أكاديمي، ورئيس وزراء سابق في عهد عبدالسلام عارف، وقد لعب دوراً في ترشيح عبدالرحمن عارف ليخلف أخاه في الحكم ومنع الفتنة التي كادت أن تنشب لو فتح باب الترشيح للآخرين، ولذا أعاد عبدالرحمن تعيين البزاز رئيساً للوزراء مرة أخرى.

حرص عبدالرحمن على أدارة الحكم بطريقة أخيه الراحل عبدالسلام، إلا أن البزاز وحكومته المهنية، أرادوا تجديد الاقتصاد، عن طريق استخدامهم لعائدات النفط العراقي في كافة محافظات العراق. وقد لازم الحكومة الحذر من تكريس تلك العائدات للقوات العسكرية المسلحة.

وفي آب (اغسطس)، 1966، حدث عمل غير ودي في الوسط العسكري، حيث استبدل عبدالرحمن البزاز بالعضو السابق للضباط الأحرار، السيد ناجي طالب (شيعي

من محافظة الناصرية)، حيث كون دائرة سياسية من الضباط العسكريين استحوذت على معظم الوزارات الأساسية.

وفي حزيران (جون)، 1967، اندلعت الحرب بين العرب وإسرائيل. ولذا أرسل عارف قطعات من الجيش العراقي إلى الأردن، للمساهمة في المعارك ضد إسرائيل وحماية الشعب الفلسطيني من الإبادة الجماعية، وقد تم التحرك، بعد أن اجتاحت شوارع بغداد والمدن العراقية الكبرى مظاهرات صاخبة. ولكن، وعند وصول القطعات العسكرية إلى الأردن، توقفت الحرب.

ارتبط عبدالرحمن عارف بالقرار العربي بقطع النفط عن الغرب، والذي دام لغاية شهر آب (أغسطس)، 1967 .

وعلى أية حال، عندما استأنف الشحن إلى الدول الغربية، قدم خمسة وزراء احتجاجهم.

ومن الجدير بالملاحظة، أن كل شخص حكم العراق، منذ عهد الملك فيصل الأول، نراه قد فقد سلطته في الحكم، إما بانقلاب عسكري، أو ثورة، أو اغتيال، ماعدا الرئيس العراقي عبدالرحمن عارف. كان هذا الأمر غريباً بعض الشيء أو قل مذهلاً، أن يكون الرئيس عبدالرحمن أول رئيس بتاريخ العراق، يترك الحكم وهو على قيد الحياة، فقد تخلى عن موقعه بثورة بيضاء في تموز (يوليو)، 1968.

ثورة السابع عشر من تموز 1968

July 17, 1968 Revolution

في الصباح الباكر من يوم 17 تموز (يوليو)، 1968، دق جرس التلفون في غرفة نوم الرئيس عبدالرحمن عارف، فأجاب سيادة الرئيس، وكان المتكلم بصوت عال، ضابط بعثي برتبة عسكرية عالية في الجيش العراقي، وقال : "إنني أحدثك من وزارة الدفاع، والدبابات تطوق الآن مبنى وزارة الدفاع" .

وهكذا، وبكل هدوء أكمل سيادة الرئيس شرب فنجان قهوته الصباحية مع الذين طلبوا عزله واقتياده إلى المطار، بطائرة خاصة إلى اسطنبول، على أن تلتحق به فيما بعد زوجته المرضة في لندن.

كان الانقلاب من تخطيط وتنفيذ حزب البعث وقد تم التوصل لكل شيء. وبعد عدة سنوات، شعر معظم العراقيين بجدارة الحكم الملكي، فقد كان من أحسن النظم التي جاءت من بعده. وأن غيابه عن الساحة السياسية سبب اختفاء معظم طليعة الطبقة العلمية والأدبية معه. وهكذا، بدلاً من الملك وحكومته المنحلة، احتل العسكر مرافق الدولة المهمة وهيمنوا عليها. وتحت عصا الحكم العسكري، شعر العراقيون أنهم قد انهوا عهد الإقطاع ليدخلوا العهد الإمبراطوري. ففي نهاية العقد الأول من الحكم العسكري، الذي احتدم فيه الصراع مع أفكار ثورة تموز 1958، دخل العراق في قبضة البعث الحديدية.

تكون النظام الجديد من أحمد حسن البكر، رئيساً للجمهورية، ونايف رئيساً للوزراء، والداوودي كوزير للدفاع، والبعثي صالح مهدي عماش وزيراً للداخلية، وحردان التكريتي، قائداً للقوة الجوية، وسعدون غيدان آمراً للحرس الجمهوري.

إن العلاقات بين البعثيين وغير البعثيين داخل النظام الجديد معقدة، حيث أراد كلاهما الإمساك بالقوة، وقد عمل سعدون غيدان بتقريب وجهتهما. كما أن احمد حسن البكر وحردان التكريتي، تمكنا من تقريب وجهات النظر بين المسؤولين وتمت له السيطرة على موقع بغداد. ومن الجدير بالذكر أن حمادي شهاب لم يكن عضواً بحزب البعث، بل كان من القبيلة التي ينتمي إليها أحمد حسن البكر.



رئيس الجمهورية
أحمد حسن البكر

وبعد بضعة أيام، وعند مغادرة الداودي القطر لزيارة الأردن في 30 تموز (يوليو)، 1968، أعلن عن غلق الدوائر الاستراتيجية في بغداد، وأرسل النايف خارج القطر، وبهذا استعاد حزب البعث قوته، كما أن معظم رموز القادة في النظام الجديد هم من ضباط الجيش، ومعظمهم منحدر من العشائر والقبائل العربية السنية في الشمال الغربي من العراق.

خلال الأشهر الأولى من ثورة 17-30 البيضاء في تموز (جولاي)، ترأس السيد أحمد حسن البكر رئاسة الجمهورية، وصدام حسين نائباً لرئيس الجمهورية. وقد بين النظام الجديد علامات واضحة تضمر الشر للقوى المعارضة له، والتي كانت تساند نظام عبدالكريم قاسم. وإضافة إلى ذلك، فقد منع المسلمون الشيعة من تأدية مراسيم العزاء لآل البيت، (رضوان الله عليهم)، وخاصة في ذكرى استشهاد سبط الرسول الحسين عليه السلام، في العاشر من محرم الحرام (عاشوراء).

قام النظام الجديد بإعدام العديد من علماء الشيعة البارزين، مثل السيد باقر الصدر وأخته بنت الهدى، ومن الملاحظ أن قادة الشيعة في المدن، مثل كربلاء والنجف المقدستين، التزموا الصمت، وقد أعطت تلك الحالة علامات لها مدلولها، ومنها أن المعارضة الشيعية قد وصلت إلى أدنى المستويات، ولهذا، ما من أحد يهتم أو قل يعير أهمية لها بعد الآن.

وفي تلك الفترة، بدأت شرطة النظام الجديد بمهاجمة الأهالي من أصل إيراني، والذين لديهم إقامة منذ سنوات عديدة، وقد وضعوا في حافلات خاصة، وتم وضعهم على الحدود المشتركة بين العراق وإيران.

وتاريخياً، تذكر المصادر أن قوى الأمن في نظام البعث الجديد، داهمت بشدة العديد من بيوت المعارضة، واعتقلت أبنائهم بتهمة انتمائهم إلى حزب محظور يدعى حزب الدعوة. وبعد سقوط نظام صدام حسين في التاسع من نيسان 2003، شغل رئيس ذلك الحزب المحظور رئاسة الوزراء.

وبالرغم من أن الشيعة يمثلون الأكثرية لكوادر حزب البغث، الا أن النظام لم يصغ إلى أصواتهم وسمح لفئة معينة من الشيعة بإقامة مراسيم التعزية للإمام الحسين بن علي عليه السلام، ومن دون التعمق بذكر مأساة الحسين عليه السلام، والطريقة التي قتل فيها مع كامل أسرته، لمنع استفزاز المواطنين وإثارة عواطفهم !!

وفي أحد المساجد، وحينما شعر القارئ لقصة مقتل الإمام، عليه السلام ، بوجود المخبر من قوى الأمن، وكان يمتاز بالمداعبة والذكاء، وتمكن من استدراج ذلك المسؤول، عما إذا كان بالإمكان تغيير الرواية التي قتل فيها الحسين وآل بيته (عليهم السلام)، وقال: "هل يمكن القول بأن الحسين عليه السلام، قد توفى عندما صعقه التيار الكهربائي ؟؟"

ظهرت في تلك الفترة كتباً عديدةً بقلم اشخاص مرموقين أو قل يشغلون مناصباً عليا في الدولة، تنتقد المفاهيم الآيدولوجية للشيعة، مثل :

1- الدكتور فاضل البراك، المدير العام للمخابرات العراقية، مؤلف كتاب " المدارس اليهودية في العراق".

2- السيد خير الله طلفاح، محافظ بغداد، وخال الرئيس صدام حسين، مؤلف كتاب " ما كان على الله خلق الذباب والإيرانيين واليهود".

لم تلق تلك الكتب رواجاً، وبيعت قسراً لأي فرد يراجع أعماله في بعض مراكز الدولة، مثل دائرة الهجرة والسفر، وسببت عدم ارتياح لدى معظم من اطلع على تلك الكتب، والتي كانت تسعى للتفرقة بين الأديان.



صدام حسين.. نائب رئيس الجمهورية

وفي منتصف تموز (يوليو)، 1979، فجأة أعلن عن استقالة أحمد حسن البكر من رئاسة الجمهورية، وبعد ساعات أدى صدام حسين اليمين الدستورية ليشغل مركز رئاسة الجمهورية العراقية، وبنفس الوقت عين أحد أقرب المخلصين له هو السيد عزة إبراهيم الدوري نائباً لرئاسة الجمهورية. كما أن صدام حسين عزل فوراً كل الذوات الذين يشعر بعدم ولائهم له.

وفي نهاية تموز (يوليو) 1979، أعلن صدام حسين، عن كشف قوى الأمن لمؤامرة تستهدف قمة النظام الحاكم والمتمثلة بأعضاء مجلس قيادة الدولة. كما اتهم صدام حسين متآمرين آخرين وقدم قائمة بأسمائهم، وتم القبض عليهم ووضعوا في ظروف قاسية من الهيجان والرعب.



صدام حسين وهو يستعرض المسيرات

شاهد كل العراقيون تلك الفظائع على شاشة التلفزيون، ومنها مشهد السيد الرئيس صدام حسين وهو يدخن السيكار الطويلة، ويتظاهر بالبكاء بين الحين والآخر، ومن حوله العديد من أعضاء الحزب الثقة، ففي مساء الثامن من آب (اغسطس)، 1979، كان صدام حسين يراقب واحداً وعشرين من أعضاء القيادة القطرية المتهمين بالخيانة العظمى، وهم يعدمون الواحد بعد الآخر.

حرب الخليج الأولى

The First Gulf War

في 22 أيلول (سبتمبر)، 1980، أمر صدام حسين القطعات العسكرية العراقية بغزو إيران. إن التوتر بين العراق وإيران اشتد منذ شباط (فبراير)، 1979، عندما تولى آية الله السلطة في إيران، عندما نفي شاه إيران، محمد رضا بهلوي، وأبعد عن وطنه بسبب نجاح الثورة الإسلامية في إيران.

لقد انتحل صدام حسين هيمنته على عموم العراق، وأحس بخطروتهديد الثورة الإسلامية له. كما أن إيران بدأت دعايتها للثورة الإسلامية بين المسلمين الشيعية، في منطقة الشرق الأوسط.

الشيعة بالعراق يكونون الغالبية التي قد تفوق 60٪، إلا أن صدام حسين كانت جذوره سنية، إلا أنه أوضح شجرة عائلته متصلة بالإمام علي ﷺ ، ورسمت لتلك العائلة خارطة ووضعت في معظم المساجد والحسينيات في كافة مدن وقرى العراق.



طارق عزيز

"إن أي حرب منذ القدم تحتاج لأسباب بسيطة لاندلاعها، إلا أنها بحاجة إلى عدة أسباب لإخمادها !! ".

ففي آذار (مارس)، 1980، حكم على أحد أعضاء حزب الدعوة المعارض لنظام الحكم، بالإعدام، وفي شهر نيسان (إبريل)، عهد إلى عضو من المنظمة الإسلامية، لاغتيال مساعد رئيس الوزراء، السيد طارق.

وخلال بضعة أيام، ألقي القبض على السيد باقر الصدر وأخته بنت الهدى في النجف الأشرف، ونقلا إلى بغداد، ومن ثم نفذ فيهم الإعدام مع أعضاء آخرين من أتباعهما، وإن معظمهم قد تعرض للتعذيب أولاً.

وأكثر من ذلك، فإن العديد من العراقيين من أصل إيراني، قد تعرضوا إلى التوقيف في منتصف الليل، ثم وضعوا في حافلات خاصة نقلتهم إلى الحدود العراقية، وأمروا بالتوجه إلى الحدود الإيرانية. ومن الجدير بالذكر أن معظم الذين هجروا قسراً هم من جذور عراقية، إلا أنهم حصلوا على الجنسية الإيرانية للتخلص من الخدمة العسكرية في العهد الملكي.، كما أنهم لم يكونوا ثوريون، ومعظمهم رجال أعمال من الطبقة الوسطى. والأكثر من ذلك، فإن انزعاج النظام آنذاك، كان بسبب قابلية المعارضة للتنظيم في صفوف الطائفة الشيعية في المدن، وأمل حصولهم على المساندة من الحكومة الإيرانية. وقد حفز هذا الموقف صدام حسين، إلى اتخاذ إجراءات سريعة وشديدة.

وبنفس الوقت، بدأت إيران استعداداتها للحرب، حيث اتخذت الدبابات مواقعاً استراتيجية في منطقة قصر شيرين، بعيداً عن مرمى المدفعية العراقية. كما أن الدبابات الإيرانية كانت بحالة إنذار، والمركبات الآلية انتشرت بمنطقة واسعة في الحقول الزراعية، كإجراء أولي لحمايتها من الغارات الجوية. وقد شوهدت مثل تلك الإجراءات الدفاعية في الحدود الجنوبية بين البلدين، بالقرب من عبادان، التي تعتبر المركز الرئيس للنفط عبر الحدود مع البصرة.

استقبل صدام حسين في بغداد، مجموعة من الساسة الإيرانيين والجنرالات السابقين في عهد الشاه، ومن الواضح، أن تجمع الإيرانيين المعادين، كان يقصد منه إحباط النظام الجديد داخل إيران. وفي غضون ذلك، ادعى العراق، أن القطعات العسكرية الإيرانية، تحتل جيباً في مقاطعة عراقية تدعى زين القوس، وأن

هذه المنطقة تعود إلى العراق وفق معاهدة 1975، والمعروفة بمعاهدة الجزائر، ومن نصوصها تقسيم السلطة على شط العرب، المتكون من اتحاد نهري دجلة والفرات، قرب مدينة القرنة، جنوب البصرة، وتتصل نهايته في الخليج العربي.



مشهد لشط العرب.

وفي أيلول (سبتمبر)، 1980، طوقت المدفعية الإيرانية المدن العراقية، عندما ألغى صدام معاهدة 1975، وأصدر أوامره بالغزو. وهكذا واصلت القوات العراقية زحفها نحو الجنوب الغربي لإيران، أي نحو إقليم عرب استان، (خوزستان)، التي تضم حوالي ثلاثة ملايين من العرب، وتعتبر من أكبر الحقول النفطية، ولا بد من الإشارة إلى وجود غرض آخر لغزو صدام لإيران، يتمثل بانهيار النظام الجديد في إيران.

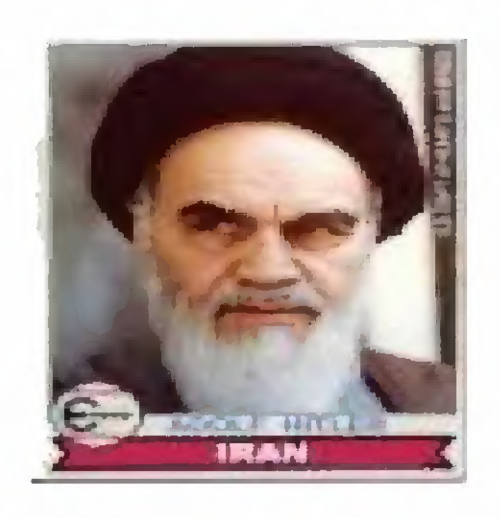
وفي الوقت الذي صار فيه صدام حسين هو اللاعب الوحيد في غزو إيران، إلا انه تمكن من إشراك دول خليجية مجاورة للعراق، مثل المملكة العربية السعودية والكويت، كما أن القوات البحرية الأمريكية كانت مساهمة ومؤثرة على النقل البحري في الخليج. لقد لعبت الرياض دوراً حاسماً بين بغداد وواشنطن لتقوية موقف العراق بكل قوة.

وفي حزيران (جون)، 1983، تغاضت الولايات المتحدة عن كون العراق مدون في لوحة الدول المساندة للإرهاب، إلا أن المسؤولين باعوا للعراق 60 طائرة عمودية (هليوكابتر)، لبغداد لاستعمالها في الأغراض السلمية، وما من أحد لا يحدس قابلية تحويل تلك الطائرات لأغراض عسكرية. كما كان تنسيق بين بغداد والرياض، (بمباركة أمريكا)، لنقل المعلومات والمخططات الحربية في إيران، والتي أمكن جمعها بواسطة طائرات التجسس الأمريكية المعروفة باسم (أواكس)، لرصد العمليات الحربية منذ

اندلاع الحرب هناك، كما تم التنسيق لتبادل المعلومات بين المخابرات الأمريكية والمخابرات العراقية.



محمد رضا بهلوي شاه إيران



آية الله الخميني، مؤسس الثورة الإيرانية

وعلى أية حال، فإن الولايات المتحدة الأمريكية، لم تخف عدائها للثورة الإسلامية في إيران، ولذا تم إعادة فتح السفارة الأمريكية في بغداد، بتاريخ 22/ 11/ 1984، لاعتقادها بضرر انتصار إيران على العراق، والذي سيؤدي إلى تخلخل توازن القوى في المنطقة، في حالة مساندة إيران المعادية للغرب.

إن اندلاع العمليات العسكرية في حرب الخليج الأولى في سبتمبر 1980، كان واضح المعالم بارتباطه بالوضع بين أمريكا وإيران. وبسبب عدم وضوح الرؤيا، لنتائج الحرب، أو قل، صعوبة تحقيق النصر في الجبهات الملتهبة احتفظت أمريكا بحيادها في تلك الحرب. ولذا، وحالما بدأ ميزان القوى باتجاه إيران، في نهاية 1983، غيرت الولايات المتحدة من سياستها. وعند كل انتصار إيراني، تزيد أمريكا من مساعدتها ودعمها لنظام بغداد.

إن منع الحركة الإسلامية الإيرانية لإحراز أي انتصار، اقترن مع فقدان بغداد مواصلة بغداد لجعل الخليج ممر آمن. وفي بضعة أشهر، تمكن العراق من جعل بعض المواقع في الخليج طبيعية، خلال السنوات 1983 و1984، وقد وضعت تلك الحالة

الجيش العراقي تحت ضغط شديد. وعلى أية حال، فإن الحاجة للدفاع عن الإقليم العراقي، رفعت من معنويات الجنود العراقيين وبثت فيها الروح ووجدان الوطنية. وقد أصبح الجيش العراقي، أرفع مقاماً، عند بناء سواتر ترابية دفاعية ضخمة، إضافة إلى إحاطة المواقع العسكرية المهمة بالأسلاك الشائكة، لمنع هجمات الحشود العسكرية الإيرانية.

كما أن آية الله الخميني، أعلن مرات عديدة، أن أية تهدئة أو هدنة مع العراق، لا يمكن أن تتم إلا بإزاحة الرئيس العراقي صدام حسين. وقد برز بشكل واضح أن الموقف أصبح مناطاً بالموقف العدائي والأخذ بالثأر. حيث اتهم الخميني صدام حسين، بالضلوع في اغتيال ولده مصطفى الخميني، في كانون الأول سنة 1977 في حادث اصطدام سيارته في مدينة كربلاء (المدينة المقدسة الثانية)، وسجل بباب الحوادث المجهولة.

وفي أثناء الأيام الأولى للحرب سجل هبوط في قدرات القوة الجوية الإيرانية، ولذا لم تعر القطعات العسكرية العراقية أي اهتمام أو أهمية لهجمات الطيران الإيراني، إلا أن الإيرانيين أظهروا تفوقاً ملحوظاً في الأعداد البشرية المجندة، والتي كانت تفوق بثلاثة مرات ما لدى العراق. ولذا اضطر العراق إلى استخدام الأسلحة الكيماوية، لأول مرة ضد القوات الإيرانية المهاجمة في نهاية سنة 1983 في المناطق الكردية، كما أصابت تلك الغازات الكيماوية، أبناء الشعب الكردي في منطقة حلبجة، وأدت إلى قتل آلاف المواطنين، كما قامت إيران بهجمات متعددة في مناطق الحدود المشتركة في شمال العراق.

وفي حزيران (يوليو)، 1983، نجحت إيران في الهجوم على المدن العراقية، مثل حاجي عمران، وبنجوين، وقد ادى ذلك إلى خسائر جسيمة بالأرواح. وقد كان من الصعب على القطعات الإيرانية الاحتفاظ بمواقعها في المقاطعات الشمالية، بسبب مهاجمتها من قبل الطائرات العمودية (الهليوكبتر)، العراقية والحوامات.

ومع ذلك، فإن الحرب كانت مستعرة بشدة في المناطق الوسطى والجنوبية من العراق، بالرغم من استمرار المعارك في مناطق كردستان الشمالية، والتي لم تتوقف لغاية 8/ 8/ 1988.

استعمل العراق الأسلحة الكيماوية مرة أخرى وأغرقت بمياه نهر دجلة المنطقة المحيطة بجزيرة مجنون، لمنع تحقيق أي نصر لإيران. وفي الوقت نفسه، كانت هناك صعوبة في قدرة العراق لتراجع القوات الإيرانية إلى الخلف عبر الحدود المشتركة.

وفي آذار (مارس) 1984، حملت إيران صدام مسؤلية تهديده، وأوضحت أنه في حالة منعها العراق من تصدير نفطها، فإن طهران سوف تمنع تصدير النفط عبر الخليج، وذلك، بغلقها لمضيق هرمز الواقع في فوهة الخليج.

وفي آذار (مارس) 1985، هاجمت القوة الجوية جزيرة خرج الإيرانية لعرقلة قدرة إيران على تصدير تصدير النفط ووضع إيران أمام الأمر الواقع، وإجبارها على فتح خطوط أخرى للتصدير في مناطق أكثر بعداً في عمق الخليج في جزيرة سُري. وفي آذار (مارس) 1985، هزت بعض الأخبار غير السارة كلاً من القائد صدام وأركان حربه، حيث وصل إلى علمهم أن القوات الإيرانية عبرت نهر دجلة من أجل احتلال الطريق الرئيسي الشمالي - الجنوبي، (الهاي وى). ولذا، أراد صدام توجيه المعارك نحو المناطق المدنية في العمق الإيراني، وقصف العاصمة طهران. إلا أن إيران ثأرت ولم تبق مكتوفة الأيدي أمام الضربات الموجعة التي تعرضت لها عاصمتهم، وقاموا بقصف العديد من المدن الجنوبية بصواريخ سكود وكذلك العاصمة بغداد نفسها.

وفي شباط (فبراير)، 1986، احتلت القوات الإيرانية شبه جزيرة الفاو، وهي عبارة عن قطعة أرض طويلة ضيقة داخل البحر، والتي تعتبراللسان أو قل الزاوية التي يطل منها العراق على الخليج. وبنفس الوقت من تلك السنة، في مارس (آذار)، احتلت القوة العراقية مهران، وهي إحدى المدن الإيرانية في مركز الجبهة العسكرية.

من الأمور المسلم بها والتي يتندر بها العراقيون، هي كون شهر تموز (يوليو)، على أنه هو شهر الانقلابات وتغيير الحكومات، كما حدث في ثورة الرابع عشر من تموز 1958، وثورة السابع عشر من تموز 1968. ولهذا في تموز 1986، وضع المسؤولون العراقيون، خطة محكمة في حالة إذا ما بدأ الجنود الإيرانيون في التوجه نحو بغداد، من الحدود التي لا تبعد بأكثر من مائة كيلومتر (65 ميلاً)، فمن المتوقع حدوث نزوح نحو الغرب،

باتجاه الأردن. وهكذا، فإن العديد من العوائل الأجنبية والجاليات الدبلوماسية، كانت لديهم خطة لاجتياز الصحراء غرب بغداد، بعد أن تجهزوا بالمواد الغذائية الضرورية، والملابس والوقود.

لقد اشترط الإيرانيون رأس صدام كثمن لإحلال السلام. ولهذا، قام صدام بتنحية أحد منافسيه وهو السيد نعيم حداد، عضو مجلس قيادة الثورة، ورئيس مجلس الأمة (البرلمان). ولقد عمل السيد نعيم حداد معلماً في مدينة سوق الشيوخ، مسقط رأسه، أحد اقضية محافظة الناصرية في جنوب العراق. إلا أنه أقصي من جميع مراكزه الحزبية والسياسية، بسبب كونه من الشيعة بالاسم فقط، حيث كان علمانيًا، وفق مفاهيم الحزب الذي انتمى إليه السيد نعيم حداد منذ الصبي، إلا أن ذلك لم يشفع له، حيث تبين، أن أحداً من أقاربه كان من التبعية الإيرانية. وأخيرا، عاش السيد نعيم حداد بعيداً عن الأضواء واعتكف مع عائلته لإدارة مزرعة صغيرة في مدينة سوق الشيوخ. ولقد كنت على معرفة بالعديد من أصدقائه، الذين أكدوا لي أنه لم يعدم أو يفر ولم يتعرض لأية عقوبة.، كما نشر في بعض الصحف عندما أعفي من كل مناصبة السياسية.

الشخصية الأخرى البارزة التي أزاحها صدام هي السيد عبدالوهاب المفتي، أمين العاصمة . فلقد ألقي القبض عليه مع عدد من رجال الأعمال الحرة، بتهمة أخذ رشوة من شركات أجنبية لكي يمكنها من أن يرسو عليها العطاء لمشروعاتها في أمانة العاصمة. ومن الجدير بالملاحظة أنه عند إيداع شخص ما التوقيف، فسوف يظهر الأمر أكثر جرماً إذا ما زج اسمه مع متهم أجنبي آخر، ولذا عمدت الشرطة العراقية إلى توقيف رجل اعمال انكليزي معه. اسمه (ايرن ريجتر)، الذي نسب إليه دفع الرشوة إلى المفتي. حيث أن التأكد من إتقان التهمة كانت ضرورية بسبب شعبية وأهمية المفتي في الوسط العسكري، حيث كان المفتي هو المهندس الذي خطط ونفذ طرق الطوارئ والتحصينات الكونكريتية الضخمة في منطقة الفاو. وبعد أن بقى الموضوع سرياً لفترة قصيرة، أعدم المفتي في نهاية 1986. ومن الجدير بالتنويه أن المفتي كان ابن أخت عديلي، ولقد علمت بعد إعدامه قصة اتهامه ومحاكمته بصورة مفصلة، ولقد زاره خاله قبل إعدامه واستلم منه قصاصة ورق كتب فيها "إنني والله بريء، .. بريء، ....، بريء ".

وعلى أية حال فإن إيران مازالت تعتبر انتصارها هو الإطاحة بنظام صدام، ولكن في 20 تموز (يوليو)، 1986، أصدر مجلس الأمن القرار رقم 598، والذي كان يدعو إلى وقف إطلاق النار، وانسحاب القوات الحربية، من كلا الطرفين، ولقد أعطى العراق موافقته، بشرط موافقة إيران. إلا أن إيران رفضت، وأصبح واضحاً أن الوضع في طهران صار أكثر تعقيداً، وأن الحرب الآن ليست مع العراق فقط، بل مع الدول الغربية أيضاً، حيث طور العراق علاقته مع تلك الدول وضمن مساعداتها له خلال سني الحرب.

وفي كانون الثاني (يناير)، 1987، هاجمت إيران البصرة، إلا أن القوة الماهجمة أوقفت عند مشارف المدن الجنوبية، وفي آذار (مارس)، قامت القوات الإيرانية بهجوم آخر في شمال العراق. ولقد استعملت أمريكا الدبلوماسية لمنع مساعدة طهران بسبب نجاح تهديدات آية الله الخميني بتصدير الثورة الإسلامية في المنطقة العربية وبالخصوص في العراق ودول الخليج.

وفي سنة 1987، نمت صناعة الأسلحة في العراق، وأكثر من ذلك صار العراق المستورد الأساسي للأسلحة في العالم. كما أن بعض المراقبين توقعوا استمرار الحرب لبضعة سنين أخرى، بسبب بعد طهران عن مرمى الصواريخ العراقية. وفي كانون الثاني (يناير)، واجه العراق القوات الإيرانية الغازية في البصرة، وفي 29 شباط (فبراير)، تمكن العراق من إصابة طهران بصواريخ سكود، مما أدى إلى نزوح العديد من المقيمين في المدينة. وقد أدى انفجار بعض الصواريخ فوق طهران إلى صدمة موجعة، حيث أن لذلك دلالة على قدرة العراق باستهداف طهران والمدن الإيرانية بقنابل تحتوي على غازات سامة أو مواد كيمياوية أخرى.

هاجمت الوحدات العسكرية الإيرانية كردستان العراق ووصلت إلى مدينة حلبجة. وأعلن أحد المراقبين الأجانب، عن استخدام العراق الأسلحة الكيمياوية ضد القوات العسكرية الإيرانية، عندما كانت تلك القوات متغلغة بين المواطنين العراقيين في مدينة حلبجة. وبناء على ذلك، استشهد الآلاف من العراقيين الكرد.



باقة من فتيات كردستان في رقصة الدبكة



ضحايا الغازات السامة في كردستان.

وفي تموز (يوليو)، 1988، اقترفت الولايات المتحدة الأمريكية خطأً بإسقاطها طائرة إيرانية مدنية تقل 290 راكب فوق المنطقة الجنوبية للخليج العربي. وبعد أسبوعين، وافقت إيران من دون شروط على قرار هيئة الأمم المتحدة المرقم 598. ولم يسر وقف إطلاق النار إلا في 20 آب (أغسطس) تحت مراقبة هيئة الأمم المتحدة.

وفي 8-8-1988 أعلن صدام حسين نهاية الحرب وانتصار العراق. وما زال العراقيون يتذكرون الرقم 8-8-8، الذي يشير إلى توقف تلك الحرب التي دامت ثمانية سنين في اليوم الثامن من تموز (يوليو)، والذي يعتبر الشهر الثامن، في السنة 1988، أي التي نهايتها رقم 8. ويقولون انتهت الحرب التي دامت 8 سنوات في الشهر 8، من سنة 1988، أو قل حرب الثلاث ثمانيات!! عمت الاحتفالات العفوية في بغداد وسائر المدن العراقية لمدة ثلاثة أيام، وقد كانت تلك الأيام من أبهج العطل الرسمية في العراق. لقد أثارت تلك الحرب دهشة المراقبين في جميع أنحاء العالم، حيث لم يحقق الطرفان أية مكتسبات على الأرض أو أي تغيير في نظام الحكم لكل منهما، إلا أن تلك الحرب أدت إلى قتل وإعاقة أكثر من مليون من البشر من كلي الطرفين.

لقد تبين أن العراق قد خرج من الحرب وهو مازال محتفظاً بجيش قوي، إلا أن ميزانيته خالية، فقد دخل الحرب ولديه احتياط بأكثر من سبعين مليار دولار وخرج من الحرب وهو مدان بأكثر من ثلاثين مليار دولار، كما أوضح معهد ستوكهولم العالمي لأبحاث السلم، كما أن الحرب قد كلفت إيران (11) بليون دولار، والعراق ما بين 112 و94، بليون دولار. وكان من الصعب تحديد عدد المفقودين. وعلى أية حال فإن التقديرات الأولية تشير إلى فقدان العراق مابين 160000 و240000 عراقي. وإيران فقدت بحدود 200000 إيراني وفق المصادر الإيراني.

شاهد عيان على حرب الخليج الأولى

Eyewitnes in Gulf War

خرجت في صباح الثاني والعشرين من ايلول (سبتمبر)، لتأدية التمارين الرياضية المعتادة في حديقة داري القريب من مطار صدام (مطار بغداد)، وشاهدت وسمعت أزيز طائرتين عسكريتين سوداوي اللون في السماء فوق رأسي، ثم غيرتا وجهتهما نحو المطار المطار، وما هي إلا لحظات حتى سمعت انفجاراً مدوياً، ودخلت مسرعاً إلى بهو الدار، إلا أن العديد من العوائل المجاورة، خرجوا بين هرج ومرج إلى الشارع وتجمعوا محدثين بعضهم البعض، وتبعتهم ودخلت فوراً على الخط، وشرحت لهم عما سمعته وشاهدته، ثم راح بعض الأفراد يشرحون مشاعرهم وقت الانفجار، والذعر الذي انتابهم.

في تلك اللحظات، بات الجميع مؤمناً، بأن الحرب بين العراق وإيران قد وقعت فعلاً، حيث قد سمعنا حول تأزم العلاقة بين القطرين الجارين، إلا أن الجميع قد اخطأ في حينه عندما توقع نهاية تلك الحرب بعد عشرة أيام !

اندلعت المعارك العنيفة فوق الأرض وفي البحر والجو بسرعة مذهلة. وقد سببت تلك الحالة الهلع لدى سكان بغداد، وهرع الجميع للتبضع من المخازن وبخاصة من سوق الشورجة (الواقع في المركز التجاري لمدينة بغداد بين جسر الشهداء وجسرالتحرير)،، لشراء المواد الغذائية وكل ما هو ضروري، أو كل ما تحتاجه العائلة من مواد متنوعة لأطول فترة ممكنة. وعلى أية حال، فقد وجدنا الأسعار قد التهبت وصارت أعلى بكثير مما كانت عليه قبل اندلاع المعارك. والأكثر من ذلك، فإن المواد التي لا يستغنى عنها مثل، (الرز والسكر والشاي وزيت الطبخ والحليب الجاف

والبقوليات وصابون الغسيل)، قد اختفت عن الأنظار، أو قل لا يحظى بها إلا الذي له معرفة مع صاحب المخزن أو من يملك السلطة أو له القدرة على دفع كل ما يطلبه البائع من ثمن. وبعد ساعات قليلة، فرغت جميع مخازن بغداد من جميع أنواع المواد الغذائية ! .. وقد أدى ذلك الوضع إلى عودة الحياة للسوق السوداء، حيث تباع المواد بأسعار عالية تفوق كل تصور.

وبعد أن أحرز العراق الانتصارات في بداية المعارك، بدأت الأمور تتغير ضد العراق في جبهات المعارك، وقد زادت دول الجوار العربية من مساعداتها المعنوية والمادية للعراق، ولذا عمدت الحكومة على ضخ كل الضروريات من المواد، وصار بإمكان أي فرد من أبناء الشعب شراء كل ما يحتاجه وبأسعار مقبولة أو قل في متناول الجميع ومن دون الحاجة إلى الوقوف في الطابور (السِره)، ولقد كانت تلك الظاهرة علامة جيدة على مساندة أقطار عديدة للعراق في حربه ضد إيران.



طاق كسرى في بغداد

من اجل شرح فترة الحرب في العراق والتي استمرت من 22 أيلول (سبتمبر)، 1980 ولغاية 8 آب (أغسطس)، 1988، فإن ذلك يحتاج إلى كتاب خاص. وإنني على ثقة تامة، بأن أي شخص شريف في أي مكان في العالم، سوف لا يحب أي نوعاً من الحروب. ولهذا، سوف أدون وصفاً لأحداث وقعت لي مع أناس شخصياً، أو سمعتها من أصدقاء ثقة، لأبين سبب كراهيتي للحرب أو أي نزاع يطغى عليه العنف.

وفيما يلي قصصاً واقعية تنقصها الصراحة، لعدم رغبتي بالتشهير بأصحابها:

1- في اليوم الأول من اندلاع الحرب بين العراق وإيران، ذهبت إلى سوق الخضرة لأبتاع ما تيسر من خضروات، وكان بجانبي عدداً من الزبائن يلتقطون الجيد من البضاعة. وفي تلك اللحظة، سأل احدهم البائع "ليش هاي البمية طرهات؟ ..أي رديئة"، فابتسمت له وقلت " الحمد لله آكو شي ناكله !! "، ومن المحتمل إذا ما استمرت الحرب، فإننا سوف لن نجد ما نأكله !!

إلا أن شاباً يرتدي زي الجيش العسكري نظر نحوي بغضب، وأجاب بوقاحة لا نظير لها وقال "اللي ما يعرف يحجي خلي ينجب ويسد حلكه"، أي أن الذي لا يفهم، .. ما عليه سوى السكوت!!، فنظرت نحوه نظرة استغراب، وقد فهم ما تعنيه تلك النظرات من معاني ".

ولقد نسيت تلك الحادثة، وبعد ثلاثة أشهر، أعلمني ذلك البائع عن بتر سائق ذلك الشخص العسكري الذي لم يحمد الله على ما كنا عليه في بداية الحرب، ولم يقل دفع الله ما كان أعظم ويرضى بالباميه الرديئة !

2- ساهم في الحرب العراقية الإيرانية كافة العراقيون ما بين سن السادسة عشر والستين، كجنود استناداً إلى قانون الجيش الشعبي، وعندما يستشهد الجندي في ساحة القتال، فسوف ينقل إلى مكان إقامة عائلته، مرفوقاً بمستحقاته وفق التعليمات العسكرية. وإذا كان الشهيد أعزباً، فسوف تقيم له عائلته حفلة زفاف اعتيادية.

كنت أرتبط بقرابة مع إحدى العائلات، وكان لديهم ولد وحيد، أنهى دراسته الجامعية والتحق بالجيش الشعبي، وبعد أن طال أمد الحرب رغبت العائلة بتزويج ابنها، ووزعت بطاقات حضور مراسيم الفرح، في أول خميس عندما يعود من إجازته الشهرية التي تمنحها الوحدة العسكرية التابع لها. وهكذا حان الموعد، وتوجهت مبكراً إلى دار تلك العائلة من أجل المساهمة في التحضيرات الروتينية في مثل تلك المناسبات، مثل إعداد قاعة الاحتفال في بهو الدار، وإعداد المشروبات والحلوى. وعلى أية حال، وعند وصولي إلى دار العائلة المحتفلة بزواج ابنها، سمعت أصوات موسيقى راقصة

وممتزجة بزغاريد بعض النسوة وبكاء البعض الآخر، واللطم والضرب على الرأس !! ... كما لفت نظري نعش لف بالعلم العراقي فوق سيارة أجرة (تاكسي)، والكثير من الأشخاص يهرولون باتجاه السيارة، ورحت أنظر لما هو حولي، وليس من مجيب !! ... ولقد ذهلت من ذلك المشهد، وتوقف تفكيري بالمرة ! وركنت سيارتي بسرعة فائقة، .. ثم عرجت باتجاه دار صديقي لاحقاً المهرولين، وبعد دقائق، .. وما أن وصلت الدار حتى انجلى الموقف، فقد سمعت أم الشهيد وهي تصدر أوامرها إلى الجنود الحاملين للنعش ليدخلوا الشهيد إلى غرفة العروس والتي جهزتها لتكون جاهزة لمثل هذا اليوم، ووضع النعش على السرير، وأمرت العروس المرتدية لبدلة الزفاف البيضاء أن تضطجع بجانب النعش وأن تطوقه بذراعيها مع زغاريد الأم ودموع العروسة التي فتتت قلوب كل الحضور !!

لقد كان مشهدا مفجعا هز وجدان كل الحاضرين، الذين زادت لوعتهم لصراخ بعض النسوة وزغاريد البعض الآخر، على أنغام الطبول والمزامير بألحان مفرحة تارة ومحزنة تارة أخرى !!

وعلى أية حال، ازداد الوضع تشنجاً، فقد بدأ الرجال والنساء برقصة الدبكة حول النعش، ومن خلفهم حشد آخر يصرخ ويلطم الصدور نادبين مصيبة تلك العائلة التي لم تتحقق أمانيها بعرس ولدها الوحيد !!

لم أستطع الآن الاستمرار بالكتابة فقد انهمرت دموعي بغزارة بالرغم من مرور عشرين سنة على تلك الفاجعة وأترك للقارئ أن يتخيل ذلك المشهد وأن يدرك المسبب له ويقف بوجه البغضاء والفتنة والحرب.

3- يقدم الجيش العراقي عشرة آلاف دينار عراقي، حوالي (3000 $ أمريكي) في ذلك الحين، لعائلة كل شهيد يسقط في جبهات الحرب بين إيران والعراق. وفي أحد الأيام نقل الانضباط العسكري نعش أحد الشهداء الملفوف بالعلم العراقي، إلى عائلته التي تقطن إحدى القرى العراقية في الجنوب. وقد استلمت العائلة النعش مع ظرف يحتوي على المنحة ووثيقة الوفاة. ولقد طلب أحد رفاق الشهيد المرافق لجنازته من

والده عدم فتح التابوت لسوء إصابة الشهيد. وبعد أن أبدت العائلة كل مظاهر أحزانها مع الأهل والأحبة من أبناء القرية لعدة ساعات، استأجر والد الشهيد سيارة أجرة لنقل النعش إلى النجف الأشرف لدفنه هناك وفقاً لعقيدة طائفته الشيعية. وبعد مرور عدة أشهر، تزوج الأخ الأصغر للشهيد من زوجة الشهيد وفقاً للتقاليد الريفية في تلك المناطق، من أجل الحفاظ على أبناء المتوفي من الضياع في حالة زواج أرملة المتوفى من رجل غريب عن العائلة أو القرية، ومن أهم المزايا كانت رغبة والدي الشهيد ببقاء حفيدهما بينهم.

إن كل هجوم عسكري متبادل بين العراق وإيران، يسبب موت وجرح وأسر وفقدان العديد من جنود كلي الطرفين. وعلى أية حال، وبسبب صعوبة معرفة الحقيقة بعد كل معركة حربية، كان من الصعب معرفة العدد الحقيقي من خسائر الطرفين.

والأكثر من ذلك، احتمال حدوث الأخطاء في الإحصاء بسبب تشابه العديد من أسماء الجنود وعدم عودة الهاربين من الخدمة بعد كل معركة، أو عدم إعلان العراق أو إيران أسماء وعدد الجنود الأسرى لديهما.

ولهذا من البديهي عدم معرفة الأخبار الحربية الحقيقية، لاحتمال مقتل جنود كل طرف على حدود الطرف الآخر أو أسره من دون أي إعلان، أو كما يقول المثل "لا من شاف ولا من درّه". وعلى أية حال، فإن أكثر الأخطاء في مثل تلك المواقف هو تشابه ألقاب العشائر العراقية، مثل الجبور والخزرجي وغيرها.

ولذا قصتنا الثالثة وقوع عائلة بمحنتها بسبب تشابه الأسماء، ودفعت الثمن غالياً، حيث كان اسم الشهيد مقارب لاسم احد المفقودين، حيث كانت العائلة في لحظة مشاهدة الجنازة الملفوفة بالعلم العراقي، إضافة إلى طلب العسكري المرافق بعدم فتح التابت، وامتثال الأب لأمر الجندي المرافق، وانتهى كل شيء ولم تتبين الحقيقة إلا بعد مرور سنة، وبعد أن تم زواج أخ الشهيد من زوجته. حيث حدثت الكارثة، فقد وصل من كان يعتبر شهيداً إلى قريته بعد منتصف الليل وهو لا يعلم بقصته، ولم يرغب في إزعاج والديه في تلك الليلة وأراد أن تعتبر زيارته مفاجئة لهما، ودخل خلسة إلى غرفته

(كوخه)، ووجد زوجته نائمة وبجانبها رجل مجهول وفي الحال استل سلاحه وسدد إلى ذلك الرجل وزوجته وارداهما قتيلين في الحال وخرج من الكوخ مزوهواً بعمله الأهوج !!

سمع الوالد صوت الرصاص يدوي في داره، ونهض على الفور مفزوعاً، وتبعته زوجته وشاهدت ولدها الذي اعتبر من الشهداء وراحت تزغرط والوالد يصرخ مذعوراً، وقال لولده، ماذا فعلت ؟؟!

وبعد أن انجلت الحقيقة، راح الوالد يلطم ويضرب على رأسه ويقول لولده القادم، ماذا فعلت ؟! حسبي الله ونعم الوكيل !! فقال الابن"، لقد قتلتها والرجل النائم بجنبها. فصرخ الأب وقال "يا إلهي، .. لقد قتلت أخاك".

أترك نهاية القصة إلى القارئ ليسرح بمخيلته ما أصاب تلك العائلة من محنة، سببها تجار الحروب منذ الخليقة وإلى يومنا هذا أو للأيام القادمة، إذا لم تتوافر الجهود لكبحها والتخلص منها ومن المروجين لها.

4- القصة التالية ظاهرها مضحك وباطنها مؤلم، وبطل تلك القصة امرأة عراقية في مقتبل العمر، استشهد زوجها في جبهة الحرب العراقية الإيرانية، وقدمت لها وزارة الدفاع العراقية المنحة التي يستحقها الشهيد، والبالغة حوالي 3000$ دولار أمريكي. وعلى أية حال، فقد كانت تلك المرأة تعيش في غرفة ضيقة في دار أمها، ولذا أرادت بناء غرفة واسعة على أمل أن يعوضها الله بزوج جديد، حيث لا رهبنة في الإسلام.

وهكذا، ولما هدأت أشجانها، راحت تبحث عمن ينفذ لها مشروعها، لبناء غرفة واسعة تضمها مع الطارق الجديد. إن معظم البنائين في فترة الحرب العراقية الإيرانية كانوا من المصريين، وشاء القدر أن تكلف تلك المرأة شاباً مصرياً وسيماً ببناء عش الأحلام. وبعد أيام من بدأ العمل استوعب الشاب ظروف تلك الأرملة، وراح يتودد إليها، إلى أن تمكن من الاستحواذ على عواطفها بلباقته ولسانه الذي يقطر عسلاً، كما يقال في المثل المصري !

لقد كان ذلك الشاب أعزباً، ولا يملك مأوى مريحاً، ولذا وجدها فرصة ملائمة

لعرض رغبته بالزواج بتلك المرأة فيضمن السكن والمتعة والمال، بعد أن علم بها في حوزتها من مخلفات المرحوم زوجها الشهيد.وبعد أيام تحقق الحلم وتم الزواج فوراً، وعاش معها في دار أمها، وفق الشريعة الإسلامية.

اقترح عريس السعد بقضاء شهرالعسل مع عروسته في ربوع المحروسة أم الدنيا مصر. وبدأ بإعداد الوثائق الضرورية لاستخراج جواز سفر لعروسته، ومن أجل ذلك سلمته ما لديها من دنانير لتحويلها إلى دولارات أمريكية، حيث لم يكن مسموحاً بحمل أكثر من مائة دينار مع كل عراقي يغادر العراق، إضافة إلى أن الدينار العراقي في ذلك الوقت لا قيمة له خارج العراق. وعلى أية حال، ما أن أكمل العريس كافة ما هو لازم لمغادرة العراق، أعلم عروسته بالاستعداد لمغادرة بغداد إلى القاهرة.

وفي صباح اليوم التالي، وصل إلى المطار وبصحبته العروس، ثم طلب منها أن تجلس خارج بوابة صالة الحجز والمغادرة، ريثما يكمل شحن الحقائب وإتمام إجراءات الجوازات والجمارك، وأمرها بالانتظار في الشارع لحين قرب موعد إقلاع الطائرة!!

ولجهل تلك المرأة التي لم تخرج من بيتها البتة، ولم تسمع أو تقرأ عن طريقة السفر إلى خارج الوطن، إضافة إلى ثقتها العمياء بزوج السعد، أطاعت زوجها وانزوت بعيداً عن زحمة المسافرين، ويا غافل اللك الله، كما هو بالمثل الشعبي. وبعد أكثر من ساعة قضتها تلك السيدة في الانتظار، لاحظها أحد شرطة المطار، وارتاب في تلفتها المستمر، والتطلع بوجه المسافرين، واقترب منها وسألها لماذا أنت واقفة هنا في الشارع ولم تدخلي في الانتظار ؟

قالت المسكينة والخوف والقلق يخيم عليها " إني انتظر زوجي .. راح يكمل الأوراق وأسافر وإياه للقاهرة !!

فتح الشرطي فاه متعجباً لما سمع، وقال لها "شنو..شنو؟ أختي طيارة مصر طارت كَبل ساعة !!

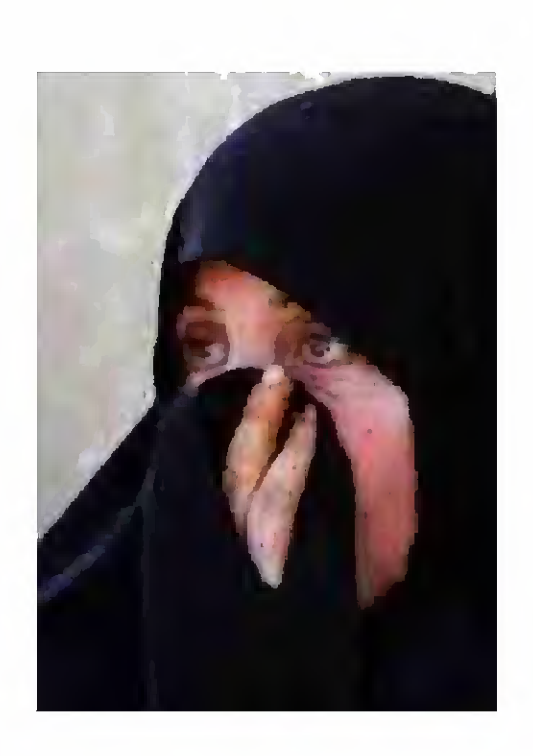
وهكذا هو حكم القدر، أو قل ضحية الثقة العمياء، أو خسة من لا ذمة له ولا وجدان، فما ذنب تلك المرأة الساذجة التي فقدت زوجها الأول، في جبهة الحرب العراقية

الإيرانية، وراحت ضحية لقمة سائغة لصقر عربي لم يتق الله مع امرأة وهبته نفسها وماها، وأساء لوطنه وشعبه ولكل ضمير حي.

من المسؤل عن محنة تلك السيدة؟... هل الذين كانوا سبباً في استشهاد زوجها؟.. أم المرأة نفسها؟..

أم الطارق الشاب والعديم الوفاء، والوافد من مصر العروبة لمساعدة الشعب العراقي في محنته؟ ..لندع

ذلك لتحكيم القارئ، مع التأكيد على أن ذلك "الكدع"، لا يمثل إلا نفسه فقط، وما فيش حد أحسن من حَد !!



حرب الخليج الثانية

The Second Gulf War

جميع العراقيون أدركوا الدمار والتخريب الذي سببته الحرب بين العراق وإيران، بعد أن لمسوا السعد يوم (8-8-8)، أي، الثامن من آب 1988، وهو يوم إعلان نهاية المعارك الحربية بين البلدين.

حاولت في تلك الفترة مغادرة الوطن إلى إي بلد عربي للعمل في جامعاته لتحسين وضعي الاقتصادي، إلا أن الحكومة العراقية لم تكن تسمح بمغادرة أي فرد ولأي سبب وبالخصوص لحملة الشهادات العليا، ما عدا المنتمين لحزب البعث أو من الكوادر المكلفين بمهمات خاصة. وقد حدثت معي تلك الحالة، .... وسأشرحها بإيجاز كالآتي:

ففي شباط (فبراير)، 1990، حصلت على عقد عمل لشغل وظيفة أستاذ جامعي من جامعة الجزائر، وعلى إثر ذلك حصلت على موافقة القسم المختص، وعمادة الكلية، إلا أن حصول موافقة الجهة العليا في رئاسة الجامعة، تحتاج إلى وساطة من شخصية حزبية لتبرئتي من أي عداء للنظام، ولذا التجأت إلى أحد طلبتي منذ الخمسينات، والذي هو الآن وكيل لوزارة الداخلية.

استقبلني الرجل بكل حفاوة، وأصغى إلى مشكلتي، وشعرت برغبته في إنجاز طلبي، وبعد أن سردنا ذكريات الدراسة، دق (الجرس)، واستدعى سائقه الخاص، وأمره بنقلي إلى مبنى وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ثم وقف يودعني، ولاحظت رفعه لسماعة التلفون، وطلب توصيلي إلى وزارة التعليم العالي.

وعلى أية حال، أصغى وزير التعليم العالي لطلبي بدقة متناهية، وكان ودوداً في

مسائلته لي عن أسباب رغبتي بالسفر إلى خارج العراق، ثم رفع إصبعه إلى صورة صدام حسين، وقال: " ما من أحد يملك الموافقة على سفرك غيره"...أرجو أن تثق بي، وإذا ما سمح لأي عراقي غير حزبي بالسفر خارج العراق (من حملة الدكتوراه)، فإنك حتماً ستكون الشخص الثاني، ... وثقت بأقوال السيد الوزير، وشكرته. وفي آب (أغسطس)، 1990 حاولت السفر مرة أخرى، وتوجهت إلى مركز الجوازات والهجرة من أجل ملء وثائق خاصة للحصول على جواز سفر جديد.

وما أن وصلت إلى بناية الجوازات، حتى سمعت صوتاً مرعباً من المذيع الأول لإذاعة بغداد معلناً عن ثورة جديدة في الكويت، وفي تلك اللحظة، وصلت إلى مبنى دائرة الجوازات، ... ثم توجهت نحو البوابة الرئيسية، وسمعت زعيق شرطي الجوازات وهو يأمر الناس بعدم الوقوف وعدم السماح لأي شخص بالدخول إلى مبنى المديرية !

وفوراً أعلنت الحكومة العراقية منع السفر إلى خارج العراق ولأي سبب ... وقد علمت فيما بعد أن أمراً صدر إلى طائرة قد اقلعت من المطار بالعودة إلى أرض المطار ... ومنذ ذلك اليوم ولغاية كانون الثاني (يناير)، 1991، عاش العراقيون وضعاً مزرياً، ... وأصبحت معظم حوانيت المواد الغذائية خاوية في كافة مدن العراق، وبالخصوص في مدينة بغداد، منذ الإعلان عن دخول القطعات العسكرية لأرض الكويت.

تمكنت من شراء أهم المواد الغذائية مثل السكر والتمور وبعض البقوليات والأواني البلاستيكية لحفظ الماء.

لقد واجهنا أهم مشكلة تتعلق بتهيأة مكان آمين يقينا من تأثيرات الغازات السامة عندما تبدأ الحرب بين القوات العراقية وقوات التحالف التي تجمعت في المملكة السعودية، ... لإخراج العراق من الكويت.

أدى الوضع الجديد إلى هجرة العديد من العوائل العراقية إلى القرى والأرياف المجاورة لبغداد تجنباً من الغازات السامة التي قد تستخدم في الحرب التي باتت على وشك الانفجار في أية لحظة.

أصدرت الولايات المتحدة وحلفائها إنذاراً إلى النظام العراقي للخروج من الكويت، وحدد موعداً لذلك، ولذا بدأت بالتفكير الجدي بمعية عوائل أخرى صديقة بمغادرة سكننا في بغداد، إلا أننا ولغاية 14 كانون الثاني (يناير)، 1991، لم تكن لدينا أية فكرة عن الجهة التي ستتوجه نحوها. وفي منتصف النهار من يوم 15، من نفس الشهر، اتصل بي أخ زوجتي تلفونياً، ليعلمني عن توجهه وعائلته إلى دار شقيقته الكبرى القاطنة في مدينة (أحصيبه، أو أبو كمال)، الواقعة مباشرة على الحدود السورية، حتى نتجنب الأسلحة الكيمياوية.

وعلى الفور اتصلت بزوجتي، وطلبت منها التهيأ للسفر، والعيش لبضعة أيام في دار شقيقتها لحين انجلاء الموقف من الحرب الواقعة لا محال في أية لحظة.

وهكذا، كنت والعائلة نستقل سيارتنا، للنزوح من بغداد، متوجهين إلى مدينة أحصيبه وبعد مسيرة طويلة دامت أكثر من سبعة ساعات، وصلنا إلى دار مضيفنا عند منتصف الليل، وبعد أن تناولنا طعام العشاء، خلدنا للراحة، وتبادلنا الأحاديث ومراقبة تلفزيون دمشق، توقف البث الاعتيادي، وأعلن المذيع عن اندلاع الحرب.



منظر لمركز مدينة الكويت، قبل اجتياح القوات العراقية



برج الإذاعة والتلفزيون الكويتي.

شاهدنا البث المباشر للعمليات الحربية للطائرات المغيرة على بغداد والمدن العراقية الكبرى، من على شاشة تلفزيون الجمهورية العربية السورية، حيث اشتركت سوريا عملياً مع قوات التحالف بزعامة أمريكا. وفي الساعات الأولى دمرت تلك الغارات الجوية معظم البنايات الاستراتيجية للحكومة. كان مشهداً مؤلماً، وقد بكى الجميع، ولم يستطع أي منا النوم تلك الليلة حتى مطلع الفجر. وعلى أية حال، فإن الوضع الذي تفجر يدل على مكوثنا في هذه البلدة لفترة لا يعلمها إلا الله، بالرغم من رغبتنا بالتجول في مناطق سياحية أخرى. بدأنا البحث عن بديل حيث لا يمكن البقاء ضيوفاً لفترة طويلة لسببين، الأول، لعدم معرفة أي منا نهاية تلك الحرب، والسبب الآخر، أن مضيفنا أبى استلام أية مساهمة مادية لشراء مواد غذائية أو دفع أجرة عن السكن أو أي فواتير عن الكهرباء والتلفون والماء. ولهذا، اتخذنا قراراً باستئجار دار غير مؤثثة، وشراء كل ما هو ضروري من فرش وأدوات الطبخ. وما أن علم الجيران بتحولنا إلى السكن الجديد حتى جلبوا لنا كل لوازم المعيشة. والأكثر من ذلك راحت كل عائلة "من البيوت المجاورة"، تعد لنا طعاماً يكفي لتغذية العشرات من الأشخاص.... كانت تلك الحالة متعارف عليها في كافة المدن العراقية وبالخصوص في المدن الصغيرة والأرياف.

كان البيت الذي نسكنه من الطراز القديم، ... ولذا عندما تطلق الصواريخ من منطقة قريبة منه، يهتز كالسعفة بوجه الريح العاتية !

كان معي راديو صغيرالتقط بواسطته البث من إذاعات مختلفة باستمرار، وعندما أسمع اهتزاز نوافذ الدار، أحوله إلى إذاعة إسرائيل، حيث يدل ذلك الاهتزاز على قذف العراق لصاروخ باتجاه إسرائيل، وفي تقطع الإذاعة بثها العادي، وتعلن : الآن هوجمت إسرائيل بالصواريخ، وقد أقلعت الطائرات لفحص الهواء لمعرفة فيما إذا كانت تلك الصواريخ محملة بالغازات السامة أم لا؟!

كما أن الطائرات المعادية للعراق تبدأ طلعاتها الحربية، مغيرة على معمل الأسمدة الكيماوية في احصيبه. وعلى أية حال، عشنا تلك الفترة من دون كهرباء وماء وتلفون ولا حتى وقود للطبخ أو للسيارة، ولذا، استعملنا أغصان الشجر وجريد النخل في الطبخ، والفحم للتدفئة. وفي كل يوم نلمس زيادة في الأسعار لكل المواد الغذائية بنسبة قد تصل إلى 100٪، وكان مرتبي لا يزيد عن 500 دينار عراقي (1500$)، شهرياً. وقد كان يفي بمتطلبات العائلة قبل الحرب، إلا أنه صار الآن غير كاف لفترة أسبوع واحد فقط !! ولذا بدأت بسحب ما أحتاجه لسد النقص من مدخراتي في البنك.

أجهت الظروف نحو الأسوأ، وخاصة عندما بدأ الهجوم الجوي، حيث كان الجندي العراقي يحارب من دون غطاء جوي، ولهذا اسشهد الآلاف من الجنود العراقيين، وترك آخرون أرض المعركة، حيث لم تحدث معارك وجهاً لوجه مع القوات المتحالفة، كما علمت من ابن عمتي فيما بعد، روى لي صديق قصة استشهاد ولده البكر، (18 سنة)، بسبب إصابته في ساقه بشظية إحدى القنابل عندما كان مختبئاً في خندقه، ولعدم تواجد مستشفى ميدان، أو توفر الإسعافات الأولية لديه، توفى بعد ساعات!

أوقفت القوات المتحالفة الحرب، بالرغم من انتصاراتها على كافة الجبهات، حيث وصلت طلائعها إلى مدينة السماوة،، (300 كيلومتر جنوب بغداد)، وقد حفزت تلك الحالة العراقيين في معظم المدن الكبيرة للخروج في مظاهرات عفوية وصاخبة، معتقدين بسقوط الحكومة ونهاية النظام !

عدنا بعد أيام إلى سكننا في بغداد، وكان منظراً مؤلماً عند رؤيتنا للعمارات الحكومية المدمرة وواجهات الدور السكنية موشحة بالسواد، ... فقد صبغها الله بأمطار قادمة من حقول النفط الكويتية المحترقة.

ولما وصلنا دارنا، وجدنا القذارة قد عمت أرجاءها، والفساد غطى كل ما خزن من أطعمة ومواد في البراد أو المجمدة على حد سواء. وبالرغم من توقف العمليات العسكرية، إلا أن الطائرات الحربية مازالت تجوب في سماء بغداد، وكأنها أسراب من الحمام !!

ولذا ومن دون أي تخطيط هاجت الجماهير وخرجت بهيئة مظاهرات صاخبة، سمتها الحكومة فيما بعد بالغوغائية، وعلى أية حال، استمرار الحال من المحال، ولذا، وبعد أيام معدودات، تمكن النظام من أعادة سيطرته بعد أن سمحت له قوات التحالف باستخدام الطائرات العمودية، . وهكذا تمكن النظام من إسكات تلك الأفواه وقتل الآلاف منها ودفنها في مقابر جماعية !

استمرت قيمة الدينار العراقي بالتدهور يوماً بعد يوم، وبعد أن كانت قيمته أكثر من ثلاثة دولارات أمريكية، أصبحت قيمته هذه الأيام (1991)، تساوي خمسة دنانير للدولار الواحد !

لم تكن تلك الحالة من الأهمية مقارنة بارتفاع أسعار المواد الغذائية لاستمرار الحياة، بشكل غير معقول. كما أن ارتفاع قيمة الدولار الأمريكي بشكل مبالغ به، وبسرعة مذهلة، حيث وصلت قيمة الدولار الواحد إلى أكثر من 2000 $ دولار أمريكي.

كان راتب الموظف البسيط في دوائر الدولة، يتراوح بين 5000 إلى 10000، دينار، في الشهر الواحد.

ويمكن للقارئ الكريم أن يتخيل صعوبة الحياة لأية عائلة تعتمد على مرتب ولي العائلة فقط، .. إذا علمت أن سعر الكيلو الواحد من اللحم يزيد على ألفي دينار. وعلى أية حال، لم يكن أمام مثل تلك العوائل سوى بيع ما تملكه من ملابس أو عفش، والاستغناء عن شراء كل ما يمكن الاستغناء عنه، إضافة إلى مزاولة البعض لأعمال

إضافية بسيطة خارج أوقات العمل الرسمي لزيادة دخلهم، وحيث اضطر الكثير من أعضاء جامعة بغداد، للعمل في أعمال لا تليق بمركزهم الاجتماعي، واستعمل احدهم سيارته الخاصة لنقل مجموعة من الطالبات من بيوتهن كل صباح وإعادتهن مساءاً، لقاء أجرة معينة، وقد وصل الموضوع إلى أسماع وزير التعليم العالي. وبعد التحري الدقيق، استدعى الوزير ذلك الأستاذ، لمواجهته في مقره الرسمي بالوزارة. وفي الاجتماع، أمر الوزير الأستاذ بترك ذلك العمل الغير لائق، وفق العرف الاجتماعي السائد آنذاك، لأنه يشكل إهانة للأستاذ الجامعي، وفق رأي الوزير!!

رفض الأستاذ الدكتور الأمر، وراح يشرح للوزير شظف العيش واستحالة إطعام عائلته بالراتب الذي يتقاضاه فقط وأكثر من ذلك، قدم اقتراحاً للسيد الوزير، وقال : "سوف أترك تلك المهنة التي تعتبرها مهينة، وكذلك الراتب الذي أتقاضاه اذا ما وفرتم لي وجبة غذاء اعتيادية لإطعام عائلتي" !! كما إنني على علم بالوضع الاقتصادي لأساتذة آخرين، اضطروا للعمل كخدم في المطاعم والبارات. وعلى أية حال، فإن معظم أساتذة الجامعات العراقية والمعلمين والموظفين البسطاء، ممن لا يملكون الخبرة العملية أو قل القدرة على تأدية الأعمال اليدوية، أصبحوا يعيشون في مستوى متدن. مثال ذلك: "ممثل قدير ومعروف منذ الخمسينات رأيته وهو يشتري العظام من القصاب !!"، وبعد تحيته، سألته، .."هل لديك كلباً أم قطة ؟"، .. وأخذني جانباً، وقال: لا، نحن أصبحنا كلاباً!

استغربت من تصريحه واللوعة التي طفحت على وجهه، .. ثم ابتسم واستمر بحديثه، وقال : إننا نضع تلك العظام في قدر كبير، ثم نغليها لعدة ساعات، وبعد أن تبرد إلى درجة حرارة الغرفة، نضعها في البراد، وعندما نريد تحضير (مرق)، نضع مع الخضرة كمية من ذلك الجلي بدل اللحم !!

(لقد كان ذلك الأستاذ من الرواد الأوائل في المسرح والسينما والتلفزيون، بكالوريوس من معهد الفنون الجميلة في بغداد في مطلع الخمسينات وبعد حصوله على ماجستير من إحدى الجامعات الأمريكية، عين محاضراً في نفس المعهد في بغداد، وقد قضى نحبه في نيسان 2005، عن عمر ناهز التسعين).

لاحظ الأستاذ الجليل امتعاضي وألمي لما سمعته، وأراد أن يهون الأمر، وراح يشرح لي الطرفة التالية: (في أيام الحصار كنت أشتري الخبز من خبازة المحلة، وبعد فترة دخل قروي الدار بصحبة حماره، وبعد أن تركه قرب التنور، .. وقف بجانبي ينتظر دوره، وراح يحدثني عن رداءة الطحين الممزوج بعلف الحيوانات الذي تأبى حتى الحمير من تناوله، وفي نفس الوقت، كانت الخبازة تعِد أرغفة من الخبز الأبيض في غاية الجودة وتهم بتسليمها إلى سائق سيارة أحد الوجهاء أو المتنفذين، وفي تلك اللحظة، وفي غفلة من الجميع التقط الحمار رغيفاً من النوع الأبيض وهرب به خارج الدار، ..إلى الشارع العام. أستشاطت الخبازة غضباً وتركت عملها ولحقت الحمار، وتبعها السائق وبعض المارة، والحمار يركض بسرعة مزهواً بحصوله على رغيف (خمسة نجوم)، إلى أن تعب وتوقف، فقالت له الخبازة: " ليش اتبوك (تسرق)، خبز المدير؟ "والتفت مخاطباً الجميع، وقال لهم : "أصار.. أشدعوه !!"، (أي لماذا هذه الضجة ؟)، ثم أردف قائلاً : (منذ بداية الحرب وليومنا هذا وأنتم تأكلون علفنا، ولم يعترض أحد منا على ذلك، ألم تخجلوا على أنفسكم تطاردون حماراً مثلي بسبب قطعة خبز بيضاء ؟!!).

في نهاية نيسان (ابريل)، 1991، أصبحت الحياة بصورة عامة هادئة، وبصورة أو بأخرى بدا العراقيون يتكيفون مع الوضع الجديد. وهكذا فتحت الجامعات والمدارس الثانوية والابتدائية أبوابها لطلابها، إلا أن المواصلات مازالت معطلة، ولذا راح الطلبة المقتدرين مادياً يستخدمون دراجاتهم في ذهابهم وإيابهم إلى مداسهم أو للتنزه في الأروقة والساحات العامة (الباركات). أما الموظفون ومعظم ذوي المهن البسيطة فقد اشتركوا مثنى أو ثلاث باستخدام سيارة أحدهم بالتناوب في كل يوم عند الذهاب إلى أعمالهم والعودة إلى بيوتهم، بسبب غلاء البنزين وندرة وجوده. وعلى أية حال، فإن الحالة الاقتصادية تدهورت نحو الأسوأ.

ولهذا، اتخذت قراراً بالهجرة إلى بلدي الثاني، الجماهيرية العربية الليبية الاشتراكية العظمى (ليبيا)، في مطلع العام الدراسي التالي، حيث سبق وأن عملت كأستاذ في الجامعة الليبية في طرابلس، من 1970 ولغاية 1979.

إن أول الخطوات لتنفيذ هذه الفكرة، هي إحالة نفسي على التقاعد، ومن حسن

الحظ، كان قانون التقاعد يتماشى مع حالتي، ولهذا كتبت عريضة لترك عملي في الجامعة، حيث كانت لدي خدمة بدوائر الدولة تزيد على الخمسة والعشرين سنة، وهذا أول شرط في قانون التقاعد.

وبعد أسبوع من العمل المضني في تحضير الوثائق اللازمة، حصلت على نتيجة إيجابية. وفي تموز 1991 صدر بيان من الدولة بالسماح للعراقيين بمغادرة القطر. كنت في حينها قد أكملت كافة الوثائق اللازمة للسفر، وغادرت جواً بمفردي إلى مدينة طرابلس عاصمة ليبيا. وبعد ما يقارب الشهر، التحقت بي عائلتي، ... ولقد أجروا دار سكننا بـ 12000 دينار عراقي، (2000 $)، بالسنة، وكنا سعداء بذلك المكسب المادي !

ولسوء الحظ، فإن قيمة ذلك الإيجار قد انخفضت بسرعة مذهلة، حيث بعد سنة، صار مبلغ الألفين دولار مساوياً لدولار واحد، وهذا يعني أننا أجرنا دارنا بستة دولارات سنوياً فقط !!

كيف هاجم العراق الكويت ؟

How Iraq Attacked Kuwait?

منذ مارس 1990، ازداد ضغط العراق على الكويت، وفي شهر مايس (ماي)، انتقل التشنج إلى دول الخليج، بسبب عدم ارتياح صدام حسين من حكومة الكويت بعد توقف الحرب بين العراق وإيران، ولأسباب ما زالت خفية في دهاليز السياسة، دعى العراق إلى عقد مؤتمر بغداد، وبين صدام حسين الطريقة التي تآمر بها الكويت بالاتفاق مع أمريكا لتحطيم العراق بتخطي حصص توزيع البترول.

تخطت الكويت الحصص التي نص عليها قانون الدول المصدرة للنفط (أوبيك)، .. وقد اعتبر ذلك بمثابة إعلان حرب على العراق، إضافة إلى أن المعارضة الكردية قد هددت بمهاجمة الشركات النفطية التي تساعد النظام العراقي. ازداد الضغط على صدام حسين عندما أدانت محكمة عراقية الصحفي البريطاني، الإيراني المولد (فرزاد) بالتجسس وحكمت عليه بالإعدام شنقاً حتى الموت. فلقد تجاهل صدام نداء العديد من المنظمات الإنسانية للعفو عن (فرزاد)، من حكم الإعدام لثقته بالحكم الصادر من الحكومة العراقية، إضافة إلى قناعته الشخصية بذنب الجاسوس (فرزاد). وفي اجتماع الجامعة العربية في عمان عاصمة الأردن، في شباط 1990 أوضح صدام حسين لكل من الملك حسين ملك الأردن والرئيس حسني مبارك، رئيس جمهورية مصر العربية، بأن العراق ليس فقط بحاجة إلى دفع ديون الحرب، بل هو بحاجة إلى (30 بليون $)، دولار، ثم أردف قائلاً : "إذا لم تستطع دول الخليج دفع ذلك المبلغ، فإنني اعرف كيف أحصل عليه".

وفي الثاني من نيسان 1990، أعلن تصريحه المدوي، مهدداً بحرق نصف إسرائيل، وهكذا عرى صدام نفسه عندما كشف غضبه حيال العالم الغربي وزيادة عدائه لإسرائيل.

كان أول احتجاج رسمي قدمه العراق، مبيناً استياءه من الكويت، كان حول عدم الاستقرار في أسعار النفط في الأسواق العالمية. فقد وجد العراق نفسه عاجزاً عن مجابهة الأسعار الهابطة للنفط. وعلى أية حال، فإن تلك الحالة المزرية، دفعت بالعراق إلى إنتاج أقل ما يمكن من حصته المسموح بها وفق قانون الأوبك.

ولذا، فإن ممثل رئيس الوزراء، في ذلك الوقت، كان أكثر صراحة في نقد الانتهاكات المتعلقة بحصص الأوبك، التي سببت الضرر بحصة العراق، وأثرت على وارداته.

في السابع عشر من تموز أعلن صدام حسين تهديده للكويت، وفي ذلك الوقت، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية تهديدها غير المباشر وأعلنت التزامها بالدفاع عن أصدقائها في المنطقة. وفي التاسع عشر من تموز، طلب وزير الدفاع الأمريكي، "ريشارد ديكشيني "، تفسيراً عن التهديدات العراقية، وقال:

"تم استدعاء سفير العراق في واشنطن إلى وزارة الخارجية وأعلم عن عزم الولايات المتحدة الأمريكية للدفاع عن الشرعية الدولية وحرية الملاحة لكل دول الخليج".

وعلى أية حال، لم تتخذ أية إجراءات في تلك الفترة للحيلولة دون النزاع بين العراق والكويت. ولقد رغبت الدول العربية بحل ذلك النزاع سلمياً وليس بالتهديد أو بإثارة المخاوف والمخاطر.

وفي بغداد أعلمت السفيرة الأمريكية، (إبريل كلاسبي)، السيد نزار حمدون وكيل وزارة الخارجية العراقية، نفس الفكرة أعلاه، وطلبت منه تقديم توضيحات لتصريحات صدام حسين حول الكويت. ولذا، فإن المسؤولة الأمريكية، كشف بهدوء مخاوف الدول العربية وخشيتها من الغضب العراقي.

وعلى أية حال، في الرابع والعشرين من تموز، بينت الصحف الصباحية الأمريكية، أن للعراق قوة عسكرية مجهزة، وهي على أتم الأستعداد للقيام بعمليات عسكرية داخل الكويت، وفي منتصف النهار، زاد الارتياب من تصرفات النظام العراقي، وأنه كان مخادعاً.

تصلب الموقف الأمريكي، وأعلن عن تمرينات عسكرية للبحرية ستبدأ في 24

تموز، ولذا كان ذلك الموقف بمثابة إشارة إلى الإمارات العربية المتحدة والكويت. وعلى أية حال، اعتبر هذا الإجراء كسند للدفاع الذاتي لأصدقاء أمريكا في الخليج. وهكذا ارتبط هذا الإعلان مع الموقف القديم للدفاع عن حرية الملاحة وحرية تدفق النفط عبر مضيق هرمز. وقد أعلن الناطق الرسمي الأمريكي بياناً مفاده :

"إن العراق وآخرين يعلمون جيداً أن لا مكان لأية قوة تهدد وتفزع الحضارة العالمية".

قدم العراق شكوى رسمية إلى هيئة الأمم المتحدة ضد الكويت، محذراً أن ما يقوم به هو منع القوى الأجنبية التي لها أطماع لزعزة الوضع في المنطقة.

وفي منتصف تلك الليلة استلمت السفيرة الأمريكية (كلاسبي)، في بغداد، احتجاجاً يعارض التمرينات العسكرية مع الإمارات العربية المتحدة، كما طلب العراق معرفة فيما إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية ماضية بنهجها، أم أن الأمر لا يتعدى إعادة الانتشار في المنطقة.

وفي الخامس والعشرين من تموز، أتم العراق تحشده واستعداده للتصدي لأي تهديد أجنبي.



صدام حسين مع سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية، كلاسبي.

وعلى أية حال، وعند عودة السفيرة الأمريكية (كلاسبي)، إلى مقر عملها، استدعيت فوراً من أجل مقابلة رئيس الجمهورية، صدام حسين، ومن ثم سألها:
"لماذا صرحت أمريكا بمساندة أصدقائها ؟، ... إن ذلك يعني وقوفها ضد العراق ".

كما ساندت امريكا اقتصاد الكويت العسكري الموجه ضد العراق. وإضافة إلى ذلك، هدد صدام حسين أمريكا، وقال :
" إنكم تستطيعون غزو العراق بالصواريخ وطائرات الهليوكبتر، ولكنكم لا تقدرون على منعنا بالقوة للتراجع عن قرارنا، وإذا ما استخدمتم القوة ضدنا، فإننا سنقاوكم".

السفيرة الأمريكية (كلاسبي)، أبدت استعدادها لشرح تطور العلاقات بين العراق وأمريكا، واستمرارها لأشهر أخرى، حيث نفت الخارجية الأمريكية وجود عداء أو مؤامرة لديها. وقد أعلمت صدام برغبة الولايات المتحدة بحل المشاكل والنزاعات الإقليمية بالطرق السلمية. كما بينت نيتها بالسفر إلى واشنطن من أجل التزود بتعليمات جديدة. لقد كان ذلك عرضاً جيداً يبين أن الولايات المتحدة ما زالت تمد يد الصداقة له. وعلى أية حال، فإن صدام حسين لم يصرح مباشرة برغبته بغزو الكويت. ولقد جعل السفيرة الأمريكية، تعتقد بزوال حالة الطوارئ.

اتصل الرئيس المصري بصدام حسين، وبعد ذلك الاتصال ظهر صدام أكثر هدوءاً، وقال لكلاسبي : "سوف يكون لقاء بين العراق والكويت في الأسبوع القادم لحل مشاكلهما في مدينة جدة (أول ميناء في المملكة العربية السعودية)، وقدم تعهداً بقوله : "إنه لن يستخدم القوة ضد الكويت".

وبنفس الوقت، لم يكن صدام حسين مرتاحاً من السفيرة الأمريكية ولذا انهى المقابلة معها.

وعندما وصل الرئيس حسني مبارك إلى الكويت قادماً من بغداد، صرح صدام حسين، وبين موقف مصر من القلق الكويتي، ولذا طلب صدام من الرئيس حسني مبارك، أن يطمئن الكويتيين وأن ينقل لهم كلامه التالي:

"لا يمكن للعراق عمل أي شيء ضد الكويت، حتى موعد اللقاء معهم".

"وإذا ما لمسنا أملاً، فلا شيء سيحدث، ولكن إذا لم نلمس أي حلٍ، فلا يمكن للعراق أن ينتظر نهايته، ومع ذلك فما زالت الحكمة فوق كل شيء".

أعلنت السفيرة الأمريكية أنها ستعيد النظر في خطة إجازتها والتي أجلت عندما تصاعدت الأزمة، وأنها سوف ترجع إلى واشنطن في 30 تموز (يوليو).

في واشنطن بينت السفيرة، أن صدام حسين يرغب بالسلام، وهكذا، وفي بداية شهر تموز بدأ الموقف يتغير وبات قريباً من نهايته، إلا أنه عاد للظهور في النصف الثاني من تموز 1990.

حصلت السفيرة الأمريكية على تعهد رسمي من العراق لرفع حالة التهدئة، إلا أن أبواق الدعاية راحت تنفخ وتؤجج الوضع لمدة أسبوع، ثم تفجر فجأة. وقد بينت السفيرة الأمريكية أن الكويتيين ضاقوا ذرعاً بشجب التجاوزات لأكثر من أسبوع بواسطة الصحف اليومية.

وعلى أية حال، تزامن ذلك الوضع مع التقارير المطمئنة القادمة من مصر والمملكة العربية السعودية. ولذا نصحت السفيرة "كلاسبي" بالتزام الهدوء وعدم توجيه أي نقد لحكومة بغداد لحين وضوح نتائج المفاوضات.

في الرابع والعشرين من تموز، استمر الاعتقاد في أمريكا، بأن المناقشات السلمية سوف تساعد على التهدئة. ولهذا، أعلن الرئيس حسني مبارك أن ليس هناك من تغيير.

إلا أن معلومة واحدة بينت أن القطعات العسكرية التي أرسلها صدام حسين إلى منطقة الحدود مع الكويت، كان لغرض إبعادها عن محيط بغداد والجنوب بسبب توترات داخلية.

وعلى أية حال، استمرت تقارير المخابرات في إعلانها عن سرعة بناء القوات العسكرية.

وهكذا، انتشرت ثمانية وحدات، متكونة من مائة ألف من خيرة الجنود العراقيين، في الحزام الربط بين الحدود العراقية الكويتية. لقد تم تشخيص ذلك الوضع بواسطة

الرسائل الشخصية المرسلة من الرئيس حسني مبارك إلى الرئيس الأمريكي بوش. مؤكداً فيها عدم وجود أية مشكلة، مشجعاً الولايات المتحدة الأمريكية أن تقلل من ظهورها. ثم أرسل الرئيس بوش الأب رسالة إلى الرئيس صدام تتعهد فيها الولايات المتحدة الأمريكية بمد يد الصداقة ومحذراً في نفس الوقت الرئيس العراقي، طالباً منه أن يتجنب تهديد الكويت.

بينت بغداد فيما بعد، وجود فرصة للتفاوض من أجل إعادة الاستقرار وأن ليس لديها أية نية لتغيير مطالبها. وفي محادثات الجامعة العربية، في مقرها في تونس، بين أمينها العام الشاذلي القليبي، "أن العراق كان واضحاً ومقتنعاً بضرورة إقصاء العائلة الحاكمة في الكويت". وهكذا طلب الملك حسين بن طلال، ملك الأردن من الجامعة العربية أن تأخذ تهديد العراق مأخذ الجد، كما أن الملك فهد، عاهل المملكة العربية السعودية، أعلم امير الكويت بذلك الموقف، وقال له : "حكمتكم وتقديركم للعواقب، سوف يباركها الله، وأملنا في الأخوة العرب في الجامعة العربية لإزالة أية صعوبات، وتعزيز التفاهم والحب بين القطرين الشقيقين".

وعلى أية حال، فإن الصداقة بين المملكة العربية السعودية والكويت، لا تدعو للشك في رفض الكويت لأي مطلب من المملكة السعودية. ولذا تقبل أمير الكويت فكرة عقد قمة عراقية، كويتية، في مدينة جدة في المملكة العربية السعودية.

وفي 25 تموز (يوليو)، صدر إنذار من القوات العسكرية الكويتية، بينت فيه مخطط الحرس الجمهوري العراقي لغزو الكويت. وقد تسربت أنباء عن تخفيف العراق من مطالبه وضغطه العسكري. أما السعوديون والمصريون، فقد فضلوا انتظار ما سوف يتمخض عن مؤتمر جدة، وبنفس الوقت طلبوا من أمريكا التريث وعدم القيام بأي عمل من شأنه أن يسبب شرخاً في نجاحه. ولهذا وبعد يومين حذرت امريكا الكويت، وفي 28 تموز كلم" بوش الأب"، الملك حسين، مبيناً تمنياته عن الموقف قائلاً :

" آمل بعدم تجاوز الموقف حده الأدنى".

وأجاب الملك :

" لا اعتقد باحتمال حدوث ذلك، وآمل ألا نصل إلى تلك النقطة".

المصريون والسعوديون، كانوا واثقين من لقاء جدة المرتقب، وأرادوا من أمريكا عدم القيام بها من شأنه أن يفسد تلك الجهود.

أصبحت سياسة أمريكا تجاه المنطقة والعراق نفسه واضحة. وباتوا غير قادرين على تجاهل الضغوط العراقية على الكويت. هذا، وقد أبدى الرئيس حسني مبارك رغبته بجلوس العراق والكويت مع بعضهما من أجل إيجاد مخرجاً لهما.

وفي لقاء جدة في 31 تموز، أدرك الكويت تهديد العراق بوقف المفاوضات.

أمير الكويت الشيخ جابر الصباح

كان العراق في مؤتمر جده ممثلاً بعزة إبراهيم الدوري، نائب رئيس الجمهورية، وعضو مجلس قيادة الثورة، وبصحبة علي حسن المجيد، (ابن عم صدام حسين)، والملقب، (علي الكيمياوي)، لضربه قرية "حلبجة" بالغازات السامة في سنة 1988.

وصل الوفد الكويتي إلى ميناء جدة، جرئ وبكل عزة وشموخ، واضعاً نصب عينيه مطالب العراق المادية. ولقد كان واضحاً من أن العراق قد قدم إلى مؤتمرجده ليثبت ما يعتبره حقاً من حقوقه الضائعة، ولم يكن راغباً في سماع محاضرات جديدة حول الأخوة والصداقة والتضامن !!

وفي 31 من شهر تموز (يوليو)، اجتمعت وفود البلدين من دون مشاركة أي وسيط، وفي بداية اللقاء، رحب الأمير عبدالله بن عبدالعزيز بالمجتمعين، ثم غادر الاجتماع حال بدأ المفاوضات. وعلى أية حال، فقد بدأ "عزة إبراهيم"، باتهام رئيس الوفد الكويتي بالإثم والتعمد بالإساءة إلى العراق. ولذا، فقد رفض الشيخ سعد العبدالله الصباح المزاعم العراقية.

وبعد دقائق معدودات، تحولت المحادثات إلى الأمور المادية، مما أدى إلى اندلاع الأصوات الغاضبة. فقد طالب العراق بعشرة ملايين دولار (10 $ بليون)، تعويضاً عن استغلال حقول الرميلة. إلا أن الكويت وافقت على منح العراق تسعة ملايين فقط (9$ مليون). رفض رئيس الوفد العراقي "عزة إبراهيم الدوري"، ذلك العرض ولم

يغير رأيه، بالرغم من العرض الذي قدمته السعودية بدفع الفرق. ولقد فهم الكويت من الجدل والمناقشة التي أثارها عزة إبراهيم، أن العراق يطلب استغلال مناطق بعينها داخل الكويت إضافة إلى مد أنابيب داخل الكويت.

إن تلك المطالب لم تلق أذناً صاغية لدى الوفد الكويتي وخرجت عن قدرة الكويتيين، ولذا أعلنوا عن عدم توفر مثل تلك المبالغ مابين أيديهم في تلك الحقبة من الزمن.

كتبت الصحف عدة مقالات بقلم مسؤولين من العراق والكويت، ولقد أدت تلك الظروف إلى دعوة الجامعة العربية لعقد اجتماع طارئ. وعلى أية حال، غادر الوفد الكويتي ميناء جدة فوراً.

لم يتوقع الكويتيين نهاية المفاوضات، ومازالوا على ثقة للتوصل إلى نتائج مثمرة في بغداد، وسوف تبرز نتائج ملموسة في المرة القادمة. ولذا وافق الكويتيون على الذهاب إلى بغداد بأسرع وقت ممكن. ولقد دب التفائل عندما نشر الدكتور سعدون حمادي (رئيس البرلمان آنذاك)، مقالة عن فشل الكويت في فهم مطالب العراق بشكل جدي، .. وظل الأمل بعقد المؤتمر في بغداد.

وبعد حديث الملك فهد، أصدرت الولايات المتحدة الأمريكية، في الأول من آب تصريحاً بينت فيها تمنياتها لنهاية مشرفة للمشكلة في الاجتماع التالي. أما السفير العراقي محمد المشاط، فقد بين عدم قيام العراق بأي تحرك نحو أي قطر، إلا أنه وحتى قبل انهيار محادثات جدة، فإن ثلاثة من التشكيلات المدرعة والدبابات وضعت بمواجهة الكويت وتحركت لمسافة ثلاثة أميال باتجاه الحدود التي أغلقت فيما بعد.

وبعد عرض عزة إبراهيم نتائج المحادثات على الرئيس صدام حسين، ..فإن الرئيس اصدر أمراً لعقد مجلس قيادة الثورة فوراً، ومن ثم بدأ غزو الكويت.

ففي آب (أغسطس)، 1990، وافق الكويت على دفع ديون الحرب وتأجير جزيرة وربه للعراق كمخرج لحل مشكلة حقول الرميلة. وعلى أية حال، لم يكن أمام الوفد الكويتي الوقت اللازم للعودة إلى المفاوضات. وفي اليوم الثاني من آب، 1990، وفي الساعة الثانية صباحاً، .....هاجمت القوات العراقية الحدود الكويتية.

وهكذا توجه أمير الكويت وولي عهده ومعظم أفراد العائلة المالكة والحاشية إلى السفارة الأمريكية عند مطلع الفجر، وقبل ساعة من بدأ اجتياح القوات العراقية.

وبعد فترة، قامت طائرات الهيلوكبتر الأمريكية، بنقلهم إلى السفن الحربية في الخليج، ومن ثم تم نقلهم إلى البحرين ومنها توجهوا إلى المملكة العربية السعودية. إلا أن معظم المواطنين لم يتمكنوا من مغادرة الكويت وظلوا في سكنهم.

أتمت القوات العراقية احتلالاها للكويت عند الساعة العشرة قبل الظهر، ولقد هزَّ ذلك الحدث دول الخليج والأقطار العربية، وكذلك الدول الغربية. ولقد أدان معظم قادة العالم تلك العملية، وهم لا يعتقدون بجواز استخدام القوة في مهاجمة أي قطر عربي للآخر. ولذا، فإن معظم الخبراء اعتقدوا أن ذلك الوضع ما هو إلا سحابة صيف سرعان ما تزول.

احتراق آبار النفط في الكويت

شجبت الأمم المتحدة الغزو العراقي، وأصدرت قرارها المرقم 660، مطالبة في وقف الحرب بدون أي قيد أو شرط وسحب جميع القوات العراقية من الكويت. وفي السادس من آب (أغسطس)، صدر قرار661 على العراق بالحصار القسري وحظر مرور السفن التجارية، ورفض احتلال الكويت. كما استدعى الملك فهد خادم الحرمين وعاهل المملكة العربية السعودية في ذلك اليوم، القوات الأمريكية لحماية بلاده ومساندة دفاعها. وفي الحال، أرسل الرئيس الأمريكي بوش، (الأب)، 40.000 من الجنود الأمريكيين إلى المملكة السعودية. أما الكونجرس الأمريكي، فقد انقسم إلى قسمين، أحدهما يطالب هيئة الأمم بتطبيق الحصار الاقتصادي من أجل إخراج العراق من الكويت، وآخر يؤيد استخدام القوة العسكرية.

وفي الخامس عشر من آب، طرح العراق مشروعاً آخر يتمثل بمقايضة انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية التي تحتلها في فلسطين والجولان ولبنان، مقابل انسحاب العراق من الكويت. إلا أن الكويت والولايات الأمريكية رفضت ذلك المقترح. إلا أن مجلس الأمن تبنى قراراً برقم 678 تحت الفصل السابع قبل كانون الثاني (يناير)، 1990.

وعلى أية حال، فإن البرلمان العراقي وافق على خوض الحرب وعدم الانسحاب من الكويت.ولذا نشر العراق أكثر من نصف مليون عسكري مجهزين بالدروع العسكرية، والطائرات الحربية، والهيلوكبتر (الحوامات)، ... وهكذا، تمت المواجهة مع القوات الغربية المجهزة بأحدث الأسلحة القتالية من طائرات حربية ودبابات، وحاملة طائرات وهيلوكبتر قتالية، ومحطة من السفن الحربية تمركزت في الخليج، وبحر العرب وخليج عمان والبحر الأحمر والبحر الأبيض المتوسط.

والأكثر خطورة في الوضع المتأزم، أن سفن البحرية الأمريكية وغواصاتها مجهزة بالأسلحة الذرية. وإضافة إلى ذلك، زودت القوات العربية والإسلامية الحليفة للكويت بالدبابات والطائرات الحربية والطائرات العمودية المقاتلة (الهيلوكبتر).

وفي السادس عشر من كانون الثاني (يناير)، بدأ الهجوم، الذي أطلق عليه اسم "عاصفة الصحراء"، بدأ بالقصف الجوي، والصواريخ التي انطلقت من السفن الحربية الأمريكية.

وبعد يومين من القصف الشديد الذي تعرضت له بغداد والمواقع الإستراتجية المهمة في كافة أرجاء العراق، وجه العراق تسعة وثلاثين صاروخاً، أرض..أرض، من نوع سكود، على تل أبيب وحيفا في إسرائيل، رداً على قصف إسرائيل للمفاعل العراقي في التويثة في بغداد، وعلى أية حال، من 3 إلى 7 شباط (فبراير)، دمرت قوى التحالف، معظم الجسور والطرق الاستراتيجية وكافة شبكات النقل البري والبحري.

وفي الخامس عشر من شباط، أذعن العراق لقرار مجلس الأمن الدولي المرقم 660، بشرط مغادرة القوى المتحالفة المنطقة، إضافة إلى انسحاب إسرائيل من المناطق العربية. إلا أن الكويت والمملكة العربية السعودية وجمهورية مصر العربية رفضوا المقترح العراقي.

وفي الصباح الباكر من يوم الرابع والعشرين من فبراير، بدأت قوات التحالف هجومها البري، من الأراضي العربية السعودية، أطلق عليه اسم "نمر الصحراء"، مستخدمين قطاعات عسكرية على الأرض بمحورين. وفي اليوم التالي، أبدت موسكو مقترحاً لخطة سلام جديدة، تبناها العراق بعد ساعة واحدة فقط.

وفي السادس والعشرين من شباط، انسحبت القوات العسكرية العراقية من مدينة الكويت وضواحيها، .. ولكن وحين وصولها إلى مسافة عشرين ميلاً غرب مدينة الكويت، ضربت طائرات التحالف الحربية مقدمته ومؤخرته. (ما اعتبرته بعض الدوائر الغربية جريمة حرب، حيث كان الجيش العراقي في وضعية الانسحاب وليس القتال).

وفي السابع والعشرين من شباط، أعلن الرئيس الأمريكي هدنة بشرط موافقة العراق على وقف إطلاق النار والتخلي عن سلاحه. وبعد ساعات وافق العراق وتوقف إطلاق النار.

احتلت قوات التحالف الغربية ما يقارب من 2000 ميل مربع من أراضي جنوب العراق بين مدينة السماوة مركز محافظة المثنى، (حوالي 700 ميل جنوب بغداد)، والحدود الكويتية.

لقد تساءل العديد من المراقبين السياسيين عن سبب عدم مواصلة قوات التحالف لزحفها نحو بغداد والتخلص من النظام !؟

وضح آمر القوات البريطانية بما يلي :

"لم نكن نملك ترخيصاً من الأمم المتحدة لغزو العراق، واحتلال أي جزء منه" ولو أننا نفذنا ذلك الأمر، فإن الدول العربية المتحالفة معنا، سوف لن تتعاون معنا في المستقبل.

وإضافة إلى ذلك فإن الدول العربية ليس لديها أي غرض من غزو بلد عربي آخر. ليس هناك من شك على قدرة القوات الحليفة من الوصول إلى بغداد في غضون أيام من دون أية معارك. وتنصيب حكومة أخرى بدل النظام القائم، ....أو الانسحاب بخجل من دون ترك نظام بقوة مناسبة، تاركين المجال مفتوحاً لنظام صدام حسين، لأن احتلال بغداد سيؤدي إلى مشاكل أكبر.

الانتفاضة

Popular Uprising

من المحتمل أن نظام الرئيس صدام حسين قد خطط لغزو الكويت قبل سنوات من آب 1990، ولهذا السبب قام الجيش بتمرينات عسكرية سرية قبل سنتين من الغزو الفعلي، وعلى أية حال، ما كان لصدام حسين أن ينفذ ذلك المخطط، لو كان الاقتصاد العراقي على ما يرام.

كما أن العلاقة بين الكويت والعراق تغيرت مرات عديدة، ولذا كانت الكويت مرتابة من الأنظمة العراقية، منذ العهد الملكي، ومروراً بعهد عبدالكريم قاسم، ولغاية عهد صدام حسين آنذاك.

شعر الكويتيون بسكون الرياح للحركات المريبة للجيش، ولذا آمنوا بقدرهم . وإضافة إلى ذلك اعتقد صدام بعدم قدرة الكويتيين على أخذ أقواله جدياً، وأدوا دورهم في المفاوضات واعتقدوا بقدرتهم على التهرب من المسؤولية تجاه العراق. وأكثر من ذلك، فقد زاد غزو الكويت من شعبية صدام، لأنه سيعيد الأراضي المغتصبة إلى السيادة العراقية. كما أن احتلال العراق للكويت، سيحول صدام حسين إلى قائد قوي للعالم العربي، ومحدداً أو محتكراً لسوق النفط العالمي.

وعندما واجه نظام صدام في الثالث من آذار (مارس)، الجماهير الغاضبة في كافة محافظات العراق وبالخصوص الجنوبية منها، بسبب فشله في الكويت، .. سميت "بالانتفاضة".

لقد بدأت تلك الحركة الجماهيرية في محافظة الناصرية، وسرعان ما انتشرت نحو

المدن ذات الأكثرية الشيعية، مثل البصرة وكربلاء والنجف المقدستين. حيث هاجم الثوار الجنود المخذولين، واستولوا على أسلحتهم. وإضافة إلى ذلك مزقت تلك الجماهير المعارضة صور صدام حسين المثبتة في المكاتب والساحات العامة، وهي تردد أهازيج متنوعة، منها: "لا إله إلا الله صدام عدو الله".

وعلى أية حال، فإن ما حصل هو أحد إفرازات الحرب العراقية / الإيرانية، أو قل عدم تحقيق أية نتيجة من تلك الحرب العبثية، التي استمرت ثماني سنوات، جعلت النظام العراقي في وضع سيئ للغاية. ولهذا ظهر الاستياء على معظم العراقيين من النظام العراقي، بشكل خفي خوفاً من العقاب الصارم الذي تمارسه الأجهزة الأمنية في حينه.

فلقد تصدى النظام للمعارضون له، أو قل من الذين وقفوا ضد مشاريعه السياسية، من البعثيين وغيرهم، كما حدث في مدينة" الدجيل"، القريبة من مدينة تكريت في سنة 1982، أثناء تعرض موكب الرئيس لإطلاقات نارية، أعدم على إثرها 184 من أهالي تلك القرية بعد محاكمة صورية.

وعندما أخذت الانتفاضة وضعاً أكثر تنظيماً، دخلت القيادات الشيعية على الخط !

أدى ذلك الوضع إلى تصدي قوات النظام لمقاومة تلك الانتفاضة في معظم المدن العراقية، والمتكونة من الحرس الجمهوري، ونخبة من القوات العسكرية الحربية، المجهزة بأحدث الأسلحة والدبابات والسيارات المصفحة لحمل الجنود.

في التاسع من مارت، هاجمت قوات الأمن الانتفاضة، وقد أطلقوا عليها اسم " الغوغائية"، ووجه النظام نار غضبه إلى الجماهير الغاضبة في معظم المدن العراقية، وبالخصوص المدن الشيعية، ومن الغريب عدم إعارة الولايات المتحدة الأمريكية أي اهتمام لذلك الحدث ! ، كما أنها لم تمانع عند ما استعمل النظام الطائرات العمودية والمدافع لضرب الأضرحة المقدسة في كربلاء، مما أدى إلى هدم أو احتراق الأبنية المجاورة. وعلى أية حال، فإن الدبابات اتخذت لها موقعاً عند نهاية شارع العباس المؤدي إلى الحضرة العباسية في مدينة كربلاء. وقد أدى القصف إلى بعض الأضرار في مأذنة ضريح الحسين وأخيه العباس عليهما السلام.

في السادس عشر من مارت، اتهم صدام حسين بمساندة إيران للشيعة في المدن العراقية، في الجنوب. ولقد احتفل بمناسبة انتهاء الانتفاضة، وقام بزيارة مدينة النجف المقدسة (حوالي 120 ميل جنوب بغداد)، وأدى مراسيم الزيارة والصلاة في ضريح الإمام علي كرم الله وجهه.

وإضافة إلى ذلك أمر بتخصيص مبالغ مالية لترميم الأجزاء التي تعرضت للتدمير في كافة الأضرحة المقدسة وأوعز بجمع التبرعات المالية من العراقيين كافة.



سوق لبيع المواد الغذائية قبل اندلاع حرب الخليج الثانية.

صدام حسين

Saddam Hussain

ولد صدام حسين المجيد، يوم 28 ابريل سنة 1937، من عشيرة البيكات، آل أبو ناصر في قرية "العوجه"، قرب مدينة تكريت، والده هو حسين المجيد، وأمه هي صبحه طلفاح.



صدام حسين
في طفولته

توفي والده قبل ولادته. وفي عمر الثامنة عشر غادر صدام مسقط رأسه إلى بغداد، لمواصلة تعليمه، وقد تكفله خاله خير الله طلفاح.

كانت تكريت - شأنها شأن بقية المدن العراقية - سكانها نقسموا إلى فئتين سياسيتين، تقدميين، وهم الذين أيدوا ثورة تموز 1958م.، التي لم تعلن الوحدة الفورية مع الدول العربية، وقوميين، وهم من نادوا بالوحدة العربية الفورية مع مصر وسورية، مثل صدام. وهكذا، ... فإن هذه الخلفية دفعته للتصادم مع أعضاء من الحزب الشيوعي الذين ساندوا نظام الزعيم عبدالكريم قاسم قائد ثورة الرابع عشر من تموز 1958م.

كان نظام قاسم لايحبذ الوحدة الفورية، ورفع شعار الاتحاد الفدرالي والصداقة السوفيتية، (روسيا حالياً)، بينما رفع حزب البعث شعار الوحدة العربية، وأوعز إلى إتباعه بمحاربة نظام قاسم والعمل على إسقاطه، وكان صدام حسين ضمن المجموعة المكلفة باغتيال رئيس الوزراء آنذاك، الزعيم عبدالكريم قاسم.

وفي السابع من تشرين الثاني (اكتوبر)، 1959، تمت محاولة الاغتيال، حيث كان عبدالكريم قاسم في سيارة جيب عسكرية، بصحبة سائقه الخاص، متوجهاً نحو سفارة ألمانيا الشرقية، لحضور حفل استقبال، عبر شارع الرشيد، الذي كان يعتبر من أرقى شوارع بغداد آنذاك.

وعلى أية حال، وحينما بدأ الرمي من قبل زمرة الاغتيال، قتل سائق الزعيم عبدالكريم، وأصيب الزعيم برصاصة في ذراعه. وهكذا استعرت معركة في وسط الشارع.

نقل الزعيم عبدالكريم فوراً بسيارة تكسي إلى مستشفى دار السلام، قرب الباب الشرقي.



طريقة شواء السمك الموسومة.

لقد كنت في ذلك اليوم في بغداد بصحبة بعض الأصدقاء نتسامر في إحدى مقاهي أبي نواس، (وهو الشارع الذي اكتسب شهرة واسعة، حيث يقع على ضفاف نهر دجلة، ويحتوي على المقاهي والمطاعم ودور اللهو، وقد امتازت به محلات تقديم السمك المشوي بطريقة خاصة تسمى المسكوف)،

وهكذا وحينما تلقينا خبر محاولة الاغتيال، وقفنا في ذهول، .. ثم غادرنا المكان وتوجهنا نحو الباب الشرقي، وفي الطريق التقينا بحشود غاضبة من الجماهير تمجد بنظام قاسم، مثل: ماكو زعيم إلا كريم، ..وماكو مؤامرة تصير والحبال موجودة وعند وصولي إلى سكني، علمت عن طريق الإذاعة الوطنية والإذاعات الأخرى، أن محاولة اغتيال رئيس الوزراء عبدالكريم قاسم أدت إلى جرح ذراعه ومقتل سائق سيارته. كما أن صدام حسين نفسه قد جرح في تلك العملية بساقه، وتمكن من الوصول

إلى عيادة طبيب من حزب البعث بنفس المنطقة، أخرج الرصاصة من سائقه، ... وبعد أن تماثل للشفاء غادر بغداد إلى مسقط رأسه العوجه.

امتطى صدام ظهر الحصان في رحلته، وعندما أراد عبور نهر دجلة استأجر زورقاً كبيراً ليقله مع حصانه، إلا أن مالك الزورق رفض طلبه، واضطر عندئذ إلى ترك حصانه وعبور نهر دجلة سباحة، وتخفى تلك الليلة حتى الصباح، ثم غادر المنطقة مشياً لحين وصوله إلى قرية العوجه، وبعد أيام تمكن من الهروب إلى سوريا، ومنها توجه إلى مصر.

بعد ثورة الثامن من شباط 1963، عاد صدام حسين إلى بغداد، وفي تلك الفترة تزوج من ابنة خاله، ساجدة خير الله طلفاح.

لم يكن لصدام أي دور مباشر في ثورة رمضان التي أطاحت بنظام الزعيم عبدالكريم قاسم، وعلى أية حال، فقد اختفى صدام حسين عندما تفرد عبدالسلام عارف بالسلطة الذي تصدى لحزب البعث المشارك في ثورة رمضان 1963، وازاح كوادره عن السلطة، وهيمن على الحكم.

تفرغ صدام حسين للتخطيط واستلام السلطة من القوميين بعد مقتل عبدالسلام عارف في تحطم الطائرة المقلة له في رحلة داخلية، وتسلم أخيه عبدالرحمن عارف رئاسة الجمهورية.

انتخب صدام في تموز 1966، مساعداً لرئيس حزب البعث العربي الاشتراكي، وبعد أقل من سنتين، استولى حزب البعث على السلطة في ثورة السابع عشر من تموز 1968. وعلى أية حال، ... أصبح صدام حسين، عضواً في مجلس قيادة الثورة، سنة 1969، نظرًا لقدراته البارزة في صفوف الحزب بعد النكسة التي ألمت به، إضافة إلى صلة القرابة التي تربطه مع رئيس الجمهورية أحمد حسن البكر.

تربع صدام على السلطة المركزية في العراق لفترة 35 سنة، حيث كان في الإحدى عشرة سنة الأولى من استلام حزب البعث للسلطة، نائباً لرئيس الجمهورية، السيد أحمد حسن البكر، وفي السنين التالية، كان هو في قمة السلطة من دون منازع. حيث ذاع صيته عندما أزاح عن طريقه اثنتين من الشخصيات المقربة إلى السيد أحمد حسن البكر،

هما حردان التكريتي، وزير الدفاع وصالح مهدي عماش، وزير الداخلية، حيث كلفا بمراكز أخرى قيادية أقل نفوذاً، واستبدلا بأشخاص من أقرب أصدقائه. هذا، وقد أكمل المناورة لإزاحة أكبر منافسيه، عند اغتيال حردان التكريتي في الكويت سنة 1990.

إن ذلك الحدث، كان لا شيء بالمقارنة مع حركة ناظم كزار، مدير الأمن، في تموز 1973، عندما حاول الاستيلاء على السلطة. وقد أعدم ناظم كزار بعد السيطرة على قوته وفشل محاولته. وهكذا كون صدام تحالفاً مع كل من مدَّيد التعاون معه ويأتمر بأوامره. كما أنه قرب إليه معظم أقاربه وعينهم في مراكز مرموقة، وقد كان في ذلك الحين ولداه عدي وقصي في مرحلة الطفولة، ولذا لم يكن لهم دور قيادي ملموس.

وفي سنة 1977، عين صدام حسين، صديق طفولته وابن خاله، السيد عدنان خير الله وزيراً للدفاع كما عين أخاه غير الشقيق، برزان التكريتي، مديراً للمخابرات.

وفي السادس عشر من تموز، 1977، أزاح صدام حسين، رئيس الجمهورية، أحمد حسن البكر من جميع مواقعه القيادية، وأحاله للتقاعد، أو قل للإقامة الإجبارية. وعلى أية حال، فقد توفى عن عمر ناهز الثالثة والسبعين، من دون معرفة الأسباب الحقيقية لعزله.

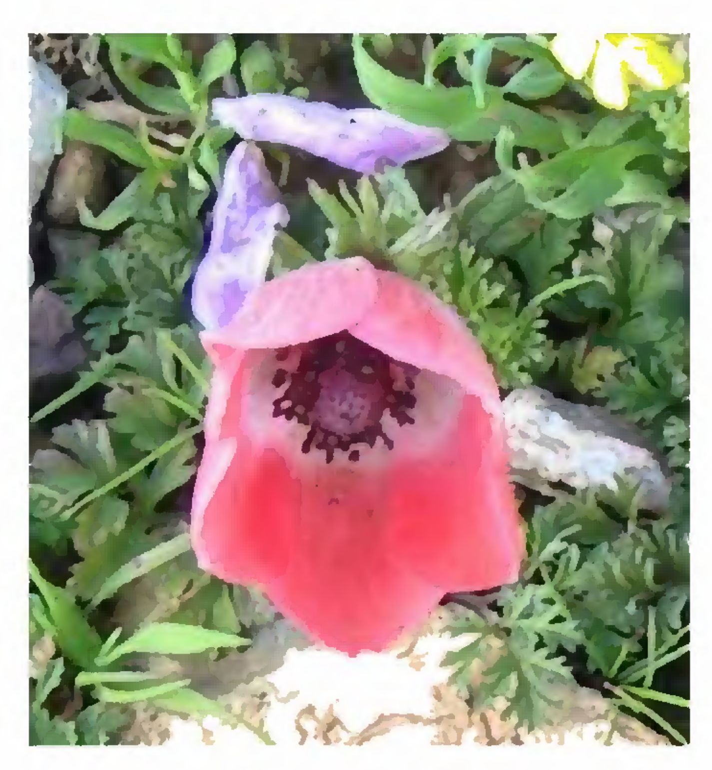

رئيس الجمهورية صدام حسين

وعلى أية حال، فقد اتخذ صدام حسين موقفاً صارماً لمنع أي منافس له. وفي آب تم إعدام 22 عضواً من أعضاء القيادة القومية والقطرية لحزب البعث العراقي . (نجى واحد منهم)، بعد محاكمة صورية، عرضت على نخبة معينة من أعضاء الحزب، وتسرب منها الكثير إلى وسائل الإعلام بعد مضي فترة من الزمن، ثم تناولها الإعلام العالمي مرات عديدة.

اختلف المراقبون في تحديد المسؤولية لاندلاع الحرب بين العراق وإيران في أيلول 1980، كما تبين استعمال المواد الكيماوية السامة في تلك الحرب، وقد تعرضت مدينة

حلبجة الكردية في شمال العراق للغازات الكيماوية السامة التي سببت هلاك الآلاف منهم في مارت 1988.

لم تحرك الولايات المتحدة الأمريكية ساكنا لردع تلك الأفعال التي أودت بحياة الأبرياء من أبناء الشعب العراقي واستمرت أمريكا في مساندتها لنظام صدام. وقد أعطت تلك الحالة من عدم اكتراث أمريكا لما يدور في المنطقة انطباعاً لدى صدام حسين، معتقداً أن أمريكا سوف تغض النظر عنه في حالة مهاجمته للكويت.



زهور حلبجة قبل القصف الكيماوي.

الحصار الاقتصادي

The Economic Sanction

ليس هناك من شك بما فعله الحصار من تدهور للاقتصاد العراقي . فمن المعلوم أن حوالي 95٪ من دخل الفرد العراقي يحصل عليه من النفط، مباشرة أو من مشتقاته. وقد صار تصدير النفط مرتبطاً بالسلاح، .. وصار الإشراف على بيعه يدار من قبل هيئة خاصة تحت إشراف هيئة الأمم المتحدة. فقد كانت سكرتارية الأمم المتحدة راغبة في رؤية عودة الصناعة النفطية العراقية وإنقاذها من النهب والتخريب بسبب حرب الخليج، .. كما أن الحصار زاد من الطلب العالمي على النفط، وعلى كل حال، ومنذ أن تبنت هيئة الأمم المتحدة القرار 1284 تحت البند السابع، حيث أعطى هذا البند، الحق للأمم المتحدة باستخدام القوة لتنفيذ تدفق النفط !

وعندما قطعت الطرق البحرية والجوية المباشرة، صار نقل المواد الغذائية عن طريق البر، إلا أن تلك الطريقة كانت غير قانونية. وبالرغم من تعاطف الشعب الأردني مع نظام صدام حسين، إلا أن الحكومة لا يمكنها أن تسمح للسفن العراقية بالإبحار. ولقد كان مراقبون من الأمم المتحدة والدول الغربية على أهبة الاستعداد لمراقبة أي خرق للقانون الدولي لحصار العراق. إلا أنه من الصعب منع تسرب المواد الغذائية والطبية عبر منافذ متعددة للدول المجاورة للعراق، مثل تركيا وإيران وسورية والأردن.

كان الحصار الاقتصادي على العراق مختلفاً عما كان عليه أيام التميز العنصري في جنوب أفريقيا. حيث أن حالة العراق مختلفة بوضوح عن الدول الأخرى، حيث لم يكن للعراق سوى النفط كسلعة صالحة للبيع في الأسواق العالمية، وقد أفرزت تلك الحالة ما يعرف بالسوق السوداء.

لم يتخذ صدام أية خطة جديدة للائتمان، ولذا لم يشعر بأي أسى أو أسف لمواجهة ديونه.

وعلى أية حال، فإن استخدام الحصار كسلاح قسري أثر بشكل مؤلم على الجماهير العراقية.

كان الغذاء ورقة فاعلة ومؤثرة بيد الأعداء، حيث لم يكن بمقدور العراق القدرة على استيراد حتى على 75٪ من المواد الغذائية الضرورية. وبعد اجتياح الكويت، لم يكن على العراق إطعام 17 مليون عراقي فقط، بل عليه إطعام 1.5 مليون من الكويتيين. وفي السادس من سبتمبر، قدمت لجنة الحصار التابعة لهيئة الأمم تصوراً عن الموقف الإنساني للحصار، .... كما أن الولايات المتحدة الأمريكية وحلفائها، لم تكن لديهم القدرة على منع الموارد للعراق عبر البحر، إلا أن التقارير بينت وجود مواد تشحن جواً إلى بغداد من الأردن وليبيا وسورية وتونس واليمن.

وعلى أية حال، كانت تلك المواد تسد بعض النقص الحاد في قطع الغيار للسيارات والآلات الميكانيكية، وغيرها من المواد ذات القيمة العالية. كما أن الحصار يحتم على كافة أقطار العالم غلق منافذها بوجه البضائع الصادرة أو الواردة من العراق أو الكويت، وأن لا يسمح لشركات النقل الجوي بالعمل ما لم تتأكد من عدم وجود مواد ممنوعة في طائرتها وفق قانون الحصار!!

لذا فإن طائرات النقل ستواجه صعوبات جمة إذا ما حاولت كسر الحصار، وفي كانون الأول 1997، حصل خرق بسيط، عندما تأزمت العلاقة بين الولايات المتحدة الأمريكية والعراق، فقد أخبرت الخارجية الكويتية، نظيرتها في الولايات المتحدة الأمريكية، بأن الكويت، لا يوافق على أي عمل عسكري ضد بغداد، من شأنه أن يسبب الأذى للشعب العراقي. وقد لقي هذا الموقف الكويتي السياسي استحساناً لدى الحكومة المصرية، والسورية والبحرين. كما أن حكومة المملكة العربية السعودية، أعلنت مبكراً، بعدم السماح لاستخدام قواعدها العسكرية لقصف المناطق العراقية.

وعندما برز تغيير جديد بين العراق والولايات المتحدة الأمريكية، في شباط (فبراير)،

1998، حذر المؤتمر الإسلامي المنعقد في الميناء السعودي، جده، من أن استخدام القوة العسكرية ضد العراق سوف تسبب كارثة لا يمكن التنبؤ بتأثيرها على النظام العراقي. ولقد أعلم سمو الأمير عبدالله وزارة خارجية الولايات المتحدة الأمريكية :

"لا تمنح أي تسهيلات من العربية السعودية لمهاجمة العراق".

كما تساءل سمو الأمير عن أسباب استعمال الولايات المتحدة الأمريكية لقوتها العسكرية ضد العراق في أي خرق لمقررات مجلس الأمن، بينما إسرائيل، ليس فقط تنتهك للعديد من مقررات مجلس الأمن، بل لا تحترمها ولا تعيرها أهمية !

مثال ذلك:

القرارات الدولية العديدة المتعلقة بالحقوق الفلسطينية، ولذا فإن السعودية سوف لا تسمح بتوجيه أي ضربة للعراق تحت أي ظروف أو ملابسات تظهر على الساحة، بسبب حساسية هذه القضية بالنسبة للدول الإسلامية والعربية.



بائعات اللبن بانتظار الحافلة لتقلهن إلى السوق الشعبي

الوضع في الإمارات العربية المتحدة، كان واضحاً من قبل أن يطرح مشروع صاحب السمو الشيخ زايد آل نهيان، الذي قدم فيه اقتراحاً، يدعو فيه العراق للعودة إلى الجامعة العربية كعضو طبيعي بالأغلبية وليس بالإجماع.

وفي مايس سنة 1998، قام وفد سوري بزيارة لبغداد لكسر الجمود في العلاقات المزرية التي طفحت على السطح لأسباب حزبية، ازدادت تشنجاً بسبب مساندة دمشق لطهران في حربها مع العراق، وقد كانت هذه الزيارة علامة جيدة لعودة العلاقات بين الجارتين. ويعد ثلاثة أشهر وقع العراق وسورية اتفاقية لإعادة ضخ النفط في الأنبوب الواصل بين ميناء بانياس على البحر الأبيض وحقول نفط كركوك.

وفي تشرين الأول 1998، أعلنت إدارة الرئيس الأمريكي، كلنتن، عن خطط لتغيير النظام في بغداد. وعلى أية حال، عارض الرئيس المصري تلك الخطة، وقال:

إن الدول العربية، تعارض أي دور أجنبي لتغيير النظام في العراق، وإن أي تغيير يجب أن يتم عن طريق الشعب العراقي نفسه.

كما أن رئيس الإمارات العربية سمو الشيخ زايد آل نهيان رفض إزاحة صدام حسين، فقد كان النظام حساس جداً نحو تغيير الظلم في فترة الحصار، ... إلا أن ظاهرة التحدث عن التغيير قد اختفت إبان تفجر الحرب بين العراق وإيران، بسبب مساندة المملكة العربية السعودية والكويت، بتقديم العم الاقتصادي بسخاء إلى الشعب العراقي أثناء فترة الحرب، وبات كل شيء ميسراً وبأسعار زهيدة. وإضافة إلى ذلك، فقد أوضح صدام حسين أن العراقيين على استعداد لأكل التراب ولن يطأطئوا رؤوسهم للمستعمر...و لذا أصدر صدام أمراً لرابطة المرأة العراقية، بتوجيه العوائل العراقية نحو الاقتصاد، أو قل للتقشف !

أي تقليل كمية المواد الغذائية التي توضع في القدر"الطنجرة"، وعلى المائدة، ويجب أن تكون محددة ومن دون إسراف، لكي تتماشى مع الحياة الجديدة.

وفي تشرين الأول (أكتوبر)، لجأ صدام إلى استخدام أسلوب "الجزرة" و: "العصا"، وعلى أية حال، في آب، منع احتكار المواد الغذائية المطروحة في الأسواق، ووضعها تحت

رقابة الدولة وإن إخفائها وبيعها في السوق السوداء يشكل جريمة لتخريب الاقتصاد العراقي والأمن القومي يعاقب عليها القانون، ولهذا، فإن من تسول له نفسه التلاعب بقوت الشعب سوف يتعرض لعقوبة الإعدام.

وبعد شهر أصدر مجلس قيادة الثورة، أمراً بتجريد ملكية الأرض من مالكها إذا لم يلتزم بزراعتها بالكثافة الإنتاجية لتلك الأرض. وبنفس الوقت، بدأ المسؤولون بتوزيع البطاقات التموينية على أفراد الشعب من أجل الحصول على المواد الغذائية الضرورية.

والأكثر من ذلك، تطرق الأمر إلى الفلاحين وقدمت لهم إرشادات بضرورة استخدام الأسمدة المحلية والامتناع عن استخدام الأسمدة المستوردة.

وإضافة لذلك طلب من رعاة البقر والمواشي والمواشي بإطعام حيواناتهم أعلافاً محلية وعدم شراء الأعلاف المستوردة. كما شجع أبناء الشعب على الاعتماد على النفس والقيام بزراعة حدائق دورهم بالخضروات وتربية الدواجن فوق سطوح المنازل.

وفي شهر رمضان، شهر الصيام، وهب صدام كل عائلة عراقية "دجاجة" واحدة كهدية منه، واعتباراً من شهر أيلول، بانت ملامح نظام الحصص، وما زال أهالي بغداد والمدن الكبرى يتذكرون الطوابير، والوقت المهدور أمام المخابز والقصابين ودكاكين بيع المواد البيتية مثل السكر والطحين، وصاروا بعد ذلك يحصلون عليها مرة واحدة ضمن قائمة المواد التموينية.



أحد مخازن بيع اللحوم في بغداد

أغلقت معظم محلات بيع المعجنات مثل (الكيك والبقلاوه والزلابية)، أبوابها بسبب اختفاء السكر، ماعدا البعض منها، والمختصة بصناعة البقلاوة والمَن السما، وبيعها بأسعار خيالية، تجاوزت 100٪ من الأسعار السابقة قبل الحرب، للمتنفذين من رجال الدولة والأغنياء.

كما ارتفعت"كالصاروخ"، أسعار المواد الغذائية الأخرى، مثل، زيت الطبخ والسكر والشاي، أما الخضروات والفواكه الجيدة فقد اختفت من واجهة المحلات، وصارت تباع في الخفاء أي بما يعرف (بالسوق السوداء)، وبأسعار بمتناول الأغنياء فقط، وعلى أية حال، فإن غالبية أبناء الشعب كانت تشاهد أنواعاً رديئة من تلك المواد معروضة للبيع، والويل لمن يعترض على ذلك، ولقد تكهنت بذلك في بداية الحرب مع إيران، بسبب ما قرأته عن الحروب وإفرازاتها وقلت:

"لنحمد الله على ما نحن عليه، وربما يأتي يوماً لا نجد فيه ما يسد رمقنا".

بدأت الأمم المتحدة بتطبيق خطة النفط من أجل الغذاء، وخصص لذلك الغرض مبلغ من المال قدره 2 مليون دولار، من عائدات بيع النفط لمدة ستة أشهر من قبل

النظام العراقي. وإن ثلث ذلك المبلغ يذهب إلى صندوق التعويضات التابع إلى الأمم المتحدة، و 13٪ تقدم إلى إقليم كردستان، بشرط صرفها تحت إشراف الأمم المتحدة، و 7٪ لتغطية المصاريف الإدارية لمختلف برامج الأمم المتحدة، تاركين نصف الواردات إلى العراق.

وعلى أية حال، فإن قيمة الدينار العراقي استمرت بالهبوط إلى أن وصلت قيمة الدولار الأمريكي الواحد إلى الألفين من الدنانير.

انهيار نظام صدام حسين في التاسع من نيسان، 2003

Collapse of Saddam Regiem April 9 ،2003

في يوم الثلاثاء الموافق للعشرين من مارت (مارس)، 2003، بدأ غزو العراق من قبل القوات الحليفة بقيادة الولايات المتحدة وبريطانيا، ..وقد أطلقت في البداية قذائف صوتية مرعبة، من أجل التخويف والرعب. وكان الغرض المعلن للغزو هو الإطاحة بنظام صدام حسين، وجعل العراق خالياً من أسلحة الدمار الشامل، ومنع النظام من إشعال النيران في آبار النفط العراقية، ولسحق القوة العسكرية للنظام البعثي. وعلى أية حال، فإن الأمريكان والإنكليز توقعوا انهيار النظام البعثي فوراً، وأن يهب الشعب العراقي لاستقبالهم بالورود كقوى محررة للعراق، حالما تطأ أقدامهم الحدود العراقية في أم قصر، في محافظة البصرة !

إلا أن تلك الأمنية لم تتحقق كما حدث أيام الانتفاضة، عندما أجبر الجيش العراقي على الخروج من الكويت، واجتياح تلك القوات الحليفة أرض العراق حتى وصلت أطراف محافظة المثنى، ثم طلبت إيقاف إطلاق النار وانسحبت من كل الأراضي التي احتلتها، في سنة 1991، بعد التوقيع على اتفاقية مع النظام، الذي راح يسترد عافيته تدريجياً إلى أن قضى على تلك الانتفاضة، وعلى كل القوى التي ساندتها. وعلى أية حال، فقد وقفت أمريكا آنذاك موقف المتفرج، وسمح للسلطة باستخدام طائرات الهيلوكبتر ضد الجماهير التي هبت لاستنكار هزيمة الجيش العراقي الباسل وكسر شوكته، بسبب زجه في حرب لم يحسب لها أبسط قواعد الحرب، ومن أهمها غياب الغطاء الجوي. لقد كانت تلك الحالة مؤلمة، إضافة إلى عدم معرفة خلفية تلك الأحداث، وأسباب عودة النظام لبسط نفوذه ثانية والهيمنة على كل مرافق الدولة.

وهكذا، زادت تلك الحالة من قوة حزب البعث، وفقدان القوى المعارضة لأية قابلية للانتفاض مرة أخرى، واعتبرت تلك الحالة، أهم سبب بعدم ترحيب الجماهير العراقية بالقوى الغازية، خوفاً من تكرار ما حدث في 1991، وكما قيل في المثل الشعبي: "المكروص حيه، يخاف من سحاله".

تطبيق الديمقراطية في العراق

Creating Democracy in Iraq

منذ إعلان نهاية العمليات العسكرية التي أطاحت بنظام صدام حسين، في 9، نيسان 2003، خطط الأمريكان لتطبيق الديمقراطية في العراق، وفق خطة تتكون من عدة خطوات كالآتي:

1- يجب أن يتم الاستقرار في كافة ربوع العراق، قبل أن يتسلم المسؤولية.
2- الولايات المتحدة الأمريكية لا تعطي للعراقيين رسمياً السيادة كاملة.

ولهذا، واجهت قوى الاحتلال مقاومة من العراقيين، وضغوطاً عالمية، لإنهاء الاحتلال الأجنبي.

وفي مارس ونيسان سنة 2003، باتت القوى العراقية والأمريكية تعيش ظروفاً في غاية الصعوبة

مثال ذلك، الخوف والمخاطر وغياب الأمن والثقة وتدهور قدراتهم القتالية.

يجب أن لا ينظر للحرب كشيء مستقل، إنها آلة سياسة، .. ولذا تفهم القادة العراقيون الجدد، الطبيعة والخاصية للإنسان العراقي في صراعه مع المحتل الذي تفجر بعد الإطاحة بالنظام السابق في 9 نيسان2003.

تاريخياً، كان حكم العراق صعباً، بسبب مكوناته العرقية والمذهبية المختلفة. فالشيعة العرب يكونون الأغلبية في الجنوب، والأقلية من العرب السنة، في المنطقة الغربية والأكراد في الشمال، ومن الجدير بالذكر أن تلك الانقسامات موجودة منذ ما ينيف على 1500 سنة.

كما أن السنة والشيعة في العراق، كلاهما يعتنقان الديانة الإسلامية، إضافة إلى ذلك، عدم وجود أية وثائق رسمية لدى أي فرد تبين كونه شيعي أوسني !

وهكذا، فإن عموم الناس المرتبطون بعلاقة مميزة، قد يعرفون بعضهم البعض الآخر بصورة غير مباشرة، مثال ذلك، من الاسم أو لقب العائلة، ولم يحدث أن يسأ ل شخص ما عند تعرفه بالآخر هل أنت سني أم شيعي !

لقد كادت تلك الظاهرة أن تختفي بعد الخمسينات من القرن الماضي، وصار من الصعب التعرف على مذهب شخص، ما لم تعرفه سابقاً، لأسباب عديدة، منها :

1- تواجد الجامعات في مختلف المحافظات العراقية، وأنها تستقبل طلبتها وفق مستواهم العلمي، ولذا، جامعة بغداد تقبل الطلبة الحائزين على أعلى الدرجات، يلي ذلك، جامعة الموصل ثم البصرة ثم الجامعات الأخرى.

2- العمل في دوائر الدولة المختلفة يعتمد على التخصص من دون النظر إلى انتمائه المذهبي.

3- إن كل عراقي يبلغ الثامنة عشر يلتحق بالخدمة العسكرية الإجبارية، كما أن وزارة الداخلية تختار أفراد الشرطة للخدمة فيها استناداً لقانون معمول به منذ تأسيس الدولة العراقية وليس للانتماء الطائفي أي تأثير علي ذلك، ما عدا الدوائر الأمنية المرتبطة بالنظام.

4- جميع دور السكن في كافة المدن العراقية ذات النسب المختلفة من الطوائف، تجد داراً يسكنها المواطن الشعي بجوار أخرى يسكنها المواطن السني.

منذ العام 1921، ثبتت بريطانيا، العوائل السنية لقيادة الدولة الناشئة، بالرغم من علمها بأن السنة، هم الأقلية بالنسبة لمجموع السكان. وقد أدى ذلك إلى نوع من الهيمنة على الشيعة والأكراد.

منذ تحرر العراق وتكوينه للنظام الملكي، وبالرغم من العدد الصغير للطائفه السنية، إلا أنهم استحوذوا على معظم المناصب الوزارية المهمة، والمواقع القيادية في الجيش.

وهكذا، أدى ذلك الوضع إلى تولي السنة لمواقع مميزة لهم في الوظائف الحكومية، وحرمان الشيعة منها. ولهذا السبب توجه الشيعة نحو الأعمال التجارية الحرة، ومكنوا أولادهم من الدراسة في أرقى المعاهد والجامعات خارج الوطن على حسابهم الخاص، ولذا لوحظ تفوق عدد الشيعة الحاصلين على الشهادات العليا، وقد استمر ذلك لسنوات طويلة، أو قل حتى ثورة تمز 1958، حيث تساوى العراقيون في الحصول على المنح الدراسية (البعثة)، وفق معايير محددة، ومن دون أي تمييز.

لقد كان حزب البعث الحاكم علماني، وبالرغم من أن أكثرية المنتمين لحزب البعث من الشيعة، لوحظ عدم إعطاءهم الفرص في التدرج والمناصب الحزبية، وحتى عامة الحزبين من أبناء السنة لم تكن لهم المنزلة المرموقة الممنوحة للطبقة المحيطة بصدام حسين وقيادته السياسية.

وعندما فشل نظام صدام بالاحتفاظ بالكويت سنة 1991، وانسحاب الجيش العراقي، هاجمت الجماهير العراقية بشكل عفوي وغير منظم في كافة محافظات العراق تقريباً، ذات الأكثرية السنية أو الشيعية، في حركة سميت"الانتفاضة" والدولة دعتها "الغوغائية"، وقد تكلمت عن ذلك سابقاً، وعلى كل حال، وبعد انتهاء الحرب، أرادت أمريكا مساعدة المعارضة للنظام السابق من العرب السنة والشيعة والأكراد وبقية القوميات الأخرى، لبناء الديمقراطية في العراق.

بناء الديمقراطية في العراق

Instal a Democracy in Iraq

تنبأ المحتلون الأمريكيون بتأليف الحكومة العراقية المؤقتة، في نهاية شهر مايس 2003. وقد كان بريمر أول مسؤول أمريكي يحكم العراق. وقد وعد بأن يكون الخامس عشر من مايس، آخر موعد لتأليف أول حكومة عراقية مؤقتة.

نظمت الولايات المتحدة الأمريكية اجتماعاً للطوائف العراقية المختلفة من العرب السنة والعرب الشيعة والأكراد والأقليات الدينية والعرقية الأخرى، إضافة للمنفيين من العراقيين في الخارج والداخل.

التقى العراقيون في 28 نيسان 2003، من أجل اختيار حكومة عراقية انتقالية. لقد كان متوقعاً من تمكن العراقيون بتكوين حكومة تضمن السيطرة على عموم العراق بسرعة فائقة. ولكن في حقيقة الأمر لم يكن التوقع في مكانه، وقد سبب ذلك الأمر خيبة أمل لأفراد الشعب العراقي، واختفاء الأمن فجأة. كما أن الموقف في بغداد والمدن الغربية مثل تكريت وحديثه، ازدادت سوءاً يوماً بعد يوم.

عزى المراقبون سبب ذلك لعدة عوامل من أهمها، حل الجيش العراقي والشرطة والأمن، إلا أن استمرار أعمال العنف والسرقة في بغداد دفع قوى التحالف إلى تغيير خططها وجمدت فكرة الحكومة الانتقالية وغيرتها إلى مجلس الحكم، من أجل وضع كتابة الدستور وإجراء انتخابات ديمقراطية نزيهة لتثبيت دعائم حكومة قوية دائمة وذات سيادة. كانت تلك الحالة غير متطابقة مع رغبات الشعب العراقي، حيث كانت مخيبة للآمال، وقد سئم العراقيون من رؤية أنفسهم مرة أخرى تحت مظلة القوى

الأجنبية أو قل الاستعمار. والأكثر من ذلك، فقد أنذروا ببقاء أمريكا في العراق وعدم انسحابها كما زعمت القوات المحتلة للعراق !

إنني على ثقة تامة بعدم وجود عراقي يقبل باحتلال القوات الأمريكية أو أي قوى أخرى للعراق، ولذا نظر العديد من العراقيين، للولايات المتحدة الأمريكية على أنها بلد محتل، وليس محرر كما زعمت عند مفاوضاتها مع القوى المعارضة في المهجر !

وهكذا أصبح العراقيون قلقين، لتأخر القوات المحتلة في الانسحاب، وقد أدى ذلك إلى منح الحق للنظام السابق في مقاومة القوات الأجنبية المحتلة للعراق. لذا طالب العراقيون الولايات المتحدة الأمريكية بتمكين الحكومة العراقية بكل ما يلزمها من قوة وسحب قواتها من القطر العراقي.

طلب الحاكم الأمريكي، بريمر، من مجلس الحكم التحضير للدستور، والتهيؤ لوضع خطة للانتخابات وتوزيع الحقائب الوزارية على الوزارات العراقية المختلفة. وعلى أية حال، وبعد أشهر معدودة من المباحثات، فإن العلاقات بين الحكومة العراقية والولايات المتحدة الأمريكية، تحسنت عندما وافقت القوى العراقية المختلفة على الدخول في العملية السياسية.

ففي أيلول 2003، قدم مجلس الحكم خمساً وعشرين اسماً من الشخصيات العراقية لتولي مواقع في الحكومة وليحلوا محل الإدارة الأمريكية. وهكذا، اختار مجلس الحكم شخصيات ذات كفاءة لتبؤ الوزارات المهمة، مثل وزارة الشؤن الخارجية، والمالية، والاقتصاد، والداخلية والنفط.

بدأت تلك الحكومة الجديدة الإعداد لكتابة الدستور والتحضير للانتخابات. هذا، وقد ثبتت الولايات المتحدة الأمريكية الموعد النهائي لإتمام تلك المهمة، في 15 كانون الأول 2003.

إن طريقة كتابة الدستور والتحضير للانتخابات، سوف يتيح للعراقيين الحصول على أول حكومة ديمقراطية. وعلى أية حال، فقد طالب العديد من العراقيين الولايات المتحدة الأمريكية بنقل العديد من مهام القطعات العسكرية للعراقيين. والأكثر من

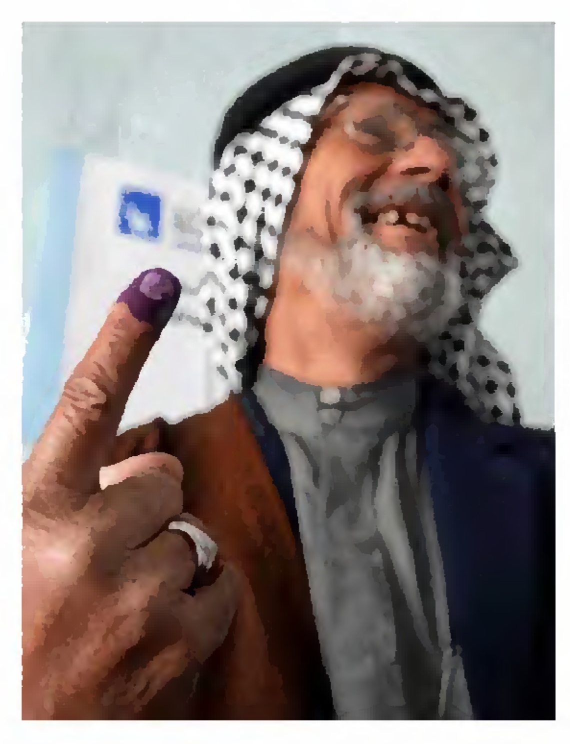
ذلك، أراد العراقيون انتخاب أعضاء السلطة ديمقراطياً، وليس عن طريق التعيين من قبل سلطة الاحتلال.

لذا أصدر آية الله السيستاني فتوى مفادها: "رفض الخطة الأمريكية بالإشراف على الدستور، وطلب من العراقيين القيام بذلك بأنفسهم".

إلا أن الشيعة والسنة والأكراد، فقدوا الثقة ببعضهم البعض، وكل منهم تخوف من تسلط الآخر وبسط النفوذ عليه.



مواطن عراقي يعرض إصبعه للدلالة على مشاركته في الانتخابات



أحد أبناء الشعب العراقي تغمره الفرحة لمشاركته في الانتخابات

وفي تشرين الثاني 2003، أطلقت الولايات المتحدة الأمريكية خطة جديدة لتثبيت حكومة انتقالية جديدة في حزيران 2004. وإن هذه الحكومة الانتقالية الجديدة سوف يناط بها الحكم لغاية كتابة الدستور والإشراف على الانتخابات. وعلى أية حال، فقد رفضت المرجعية الشيعية، أي ممثلين عن الشعب بطريقة الدعوة لمؤتمر، واستبدال ذلك في انتخابات ديمقراطية مباشرة، حيث رغب آية الله السيستاني بإدلاء كل عراقي بصوته

بحرية تامة. وقد أيد معظم العراقيين مطلب آية الله السيستاني للعملية السياسية من أجل تثبيت الديمقراطية.



مسيرات شعبية بعد التصويت على الدستور



النساء العراقيات بانتظار دورهن لتأدية واجبهن الوطني في المشاركة بالانتخابات

وعلى أية حال، فإن الولايات المتحدة الأمريكية أبدت قلقها رسمياً، وبينت أن الانتخابات المباشرة من المحتمل عدم إتمامها بهذه السرعة في مثل هذه الأوضاع في العراق، وذلك لعدم توفر البطاقات الانتخابية. إلا إن القيادة العراقية، اقترحت أن تحل البطاقة التموينية كبديل عن البطاقة الانتخابية. ولكن هذه الفكرة بينت صعوبات جديدة، حيث هناك العديد من العوائل العراقية لا تملك مثل تلك البطاقة، لأسباب تعود لعلاقتها مع النظام السابق.



امرأة عراقية ساهمت في انتخاب مجلس النواب

اقترح عدد من قادة العراقيين فكرة أخرى، مفادها نقل السلطة من الولايات المتحدة الأمريكية إلى مجلس الحكم، وبهذا، سوف تجرى الانتخابات في 2004 لتعيين الحكومة المؤقتة.

الحكومة الأمريكية، والحكومة العراقية، قدمتا طلباً إلى هيئة الأمم المتحدة، لحل مسألة تكوين الحكومة العراقية. وهكذا لبى السيد كوفي عنان، سكرتير هيئة الأمم في ذلك الحين استعداده لإرسال خبراء من الأمم المتحدة.

الموقف الجديد في العراق، أدى بقوى التحالف للخوف من انقسام الشعب العراقي، وشرارة لاشتعال الحرب الأهلية. ومن الجدير بالذكر، أن الأكراد وافقوا على قرار الولايات المتحدة الأمريكية، وأعلنوا عن عدم رغبتهم بالانفصال، أي بتكوين إقليم مستقل باسم كردستان العراق، وفضلوا البقاء كجزء من الحكومة العراقية الجديدة، وأن تتجنب كل ما قد يؤدي إلى زعزة حكومة العراق المركزية. وعلى أية حال، إن رغبتهم كانت في حدود المطالبة بحكم ذاتي، أو ما يسمى: بـ "الفدرالية"، مع الاحتفاظ بقوتهم العسكرية المعروفة باسم "البشمركه"، وربط مدينة كركوك، الغنية بالنفط، بإقليم كردستتان.

والملفت للنظر، أن السنة شعروا بتهميشهم، أو قل فقدوا المجد الذي كانوا عليه في العهود السابقة، ولذا، كونوا تكتلًا خاصاً بهم، لتثبيت وحدتهم السياسية. هذا، وإن التكتل السني مكون من حزبين إسلاميين. كما أن معظم سنة العراق، يتطلعون إلى نهاية الاحتلال الأمريكي، وأن يكون لهم صوت مؤثر في الحكومة العراقية الجديدة. وعلى أية حال، فإن معظم الشيعية والأكراد، رغبوا في بقاء قوات التحالف في العراق حتى الانتهاء من بناء الجيش العراقي وقوات الشرطة والأمن، لتكون بمستوى جيد يعتمد عليها في استتباب الأمن في كافة ربوع العراق.

كما بينت سابقاً، فإن أغلب سكان العراق هم من الشيعة، وهذا يعني أن أية انتخابات ديمقراطية حرة، سيتمخض عنها حكومة شيعية. كما أن معظم الشيعة يؤمنون بوجوب فصل الدين عن الدولة، كما في الدول المتطورة مثل، روسيا والصين ومعظم الدول الأوربية وأمريكا.

إن عدم الاستقرار السياسي في العراق أدى إلى أعمال النهب وفقدان الأمن، وقد سبب ذلك أعظم مشكلة للدولة وللشعب ولأمريكا وبريطانيا. ولهذا، سارع المحتلون بتكوين الحكومة العراقية الانتقالية، وأناطوا بها مهمة كتابة الدستور والإشراف على انتخابات المجلس النيابي.

أعطت هذه الحالة الفرصة للمعارضين للعملية السياسية لمحاربة القوات الأجنبية.

كما أن معظم الكتل السياسية العراقية، طالبت بضرورة انسحاب القوات المحتلة بأسرع ما يمكن ومساندة الحكومة الجديدة . كما أن معظم أبناء الشعب العراقي، طالبوا بأن يكون الإسلام هو المصدر الأساسي للتشريع عند كتابة الدستور وتأليف الحكومة. هذا، وقد أبدى الشيعة استعدادهم للمحافظة على استقرار العراق ووحدته. ومن الممكن تحقيق ذلك بالاعتماد على حقوق وطموحات الطوائف الأخرى. ولقد كان واضحاً، أن الولايات المتحدة الأمريكية، تتخوف من مشاهدة حكومة دينية شيعية في كل أجزاء العراق، مماثلة للحكومة الإسلامية في إيران وتتخذ نفس المسار في عدائها

لأمريكا. كما أن بعض القادة من السنة يعتقدون بتهديد مثل تلك الحكومة لكل الأقليات من الطوائف والأعراق التي لا تتبع المذهب الشيعي.

المراجع الأمريكية والبريطانية، كانت دائماً تعتقد باحتمال نشوب الحرب الأهلية بين الشيعة والسنة، إلا أن ذلك لم يتحقق بالرغم من محاولة جهات خارجية بمساعدة بعض المعارضين للعملية السياسية بخلق الأزمات المؤلمة للوصول إلى ذلك الهدف، ولكن من دون جدوى تذكر.

وإن مرد ذلك يعود إلى التعايش السلمي بين الشيعة والسنة في كافة المدن العراقية التي تضم النسب المتفاوتة من الطوائف والأعراق المختلفة. والحقيقة التي تبرهن على هذه الأقوال، عدم حدوث تصادم مسلح بين تلك الطوائف ولا حتى شجار شخصي بين الصغار أو الكبار بسبب الاختلاف الطائفي.

وعلى أية حال، فإن هناك من القادة الشيعة من لا يرغب بحكومة شيعية، إلا أنهم يتطلعون إلى حكومة تطبق الديمقراطية. أو قل حكومة وفاق وطني، تضم كافة مكونات المجتمع العراقي.

وعموماً، العراق كان تحت الهيمنة البريطانية، منذ سنة 1920، وإن جميع الحكومات المتعاقبة كانت بعلائق جيدة مع بريطانيا وأمريكا لغاية الفترة التي نشبت فيها الثورات الوطنية، والتي أطاحت بالعهد الملكي، وأسست حكومات متباينة في علائقها مع الدول الكبرى، وإلى غاية تولي حزب البعث الحكم وتبلور سياسته التي تأرجحت في الموالات والعداء مع الدول المجاورة وأوربا وأمريكا، ولحين احتلال بغداد في التاسع من أبريل سنة 2003.

والحقيقة التي لا يمكن نكرانها، هي استحالة قيام حكومة إسلامية على النمط الإيراني في العراق، حيث هناك تفاوت في الآيدلوجية بين المرجعية الدينية العراقية والإيرانية، معروفة لدى القيادات الدينية، لا أريد الخوض فيها.

وعلى أية حال، وبعد بضعة أشهر، أصبحت مسألة الانتخابات في الصدارة، ولقد ثبت القادة العراقيون الموعد النهائي لكتابة الدستور الدائم، في الثامن من مارت 2004.

إلا أن ذلك الموعد، أجل عدة مرات بسبب بعض المشاكل السياسية، إضافة إلى الهجمات الإرهابية، وأخيراً تمكن مجلس الحكم من إنجاز ذلك الدستور.

تميز الدستور الجديد، على حرية التدين والاجتماع والكلام وحقوق المرأة. وبالرغم من التقدم الذي تحقق بعد زوال النظام السابق، إلا أن الوضع الأمني ما زال لم يستقر، وأن الديمقراطية غير واضحة !

هذا، وقد أعلنت قيادة القوات الحليفة في العراق، أنهم باقون في العراق لغاية استقرار الحكم الديمقراطي. والحقيقة التي يؤمن بها كل عراقي، تتلخص بعدم رؤية أية قوى أجنبية على أرضه.

وعلى أية حال، هناك تفائل بتحقيق ذلك، حالما تكتمل قوة الدولة، وعندئذ ستطلب من تلك القوات مغادرة الوطن من دون رجعة.



أول جمعية عراقية لصياغة أول دستور عراقي.

المراجع

Sources

Renewed Emam, Dr.Al-Said Muse Al-Mossawy, Al-Modhtehedan, Iraq's Shiite and Iran's Shiite, Higher Islamic Institute in California, 1995.

الإمام المجدد الدكتور موسى الموسوي، المضطهدان شيعة العراق وشيعة إيران، المعهد الإسلامي العالي، 1995.

Sybhi Abdel Hamied, Asrar Thouret Temyz, Encyclopedic Arabic Dar, Baghdad.

صبحي عبدالحميد ، أسرار ثورة تموز 1958، الدار العربية للموسوعات، بغداد.

Dr. Raja'e Hussain Hussni Al-Khatab, Al-Mesylie Al-Tarikhie in assassination of King Qazi, Affaq Arebie Library, Al-Mansyr Baghdad

الدكتورة رجاء حسين حسني الخطاب، المسؤولية التاريخية في مقتل الملك غازي، مكتبة آفاق عربية ، المنصور بغداد.

Al-Said Mohamed Al-Mossawy Al-Shirazi, Le'ialy Bishawer: Al-Belagh Mo'esese (Foundation), Beirut, Lebanon.

السيد محمد الموسوي الشيرازي، ليالي بيشاور، مؤسسة البلاغ بيروت الطبعة العاشرة، لبنان.

Zaien Al-Abidein Bin-Al-Hakim, Al-Messael Al-Mossierh: Dar Al-Moarikh Al-Arabi, Beirut Lebanon 1994.

زين العابدين بن الحكيم ، المسائل الميسرة، دار المؤرخ العربية، بيروت لبنان.

Mohamed Shibieib, Wathbe Fi'Al-Iraq, (Leap in Iraq): Dar Al'thakafe, Baghdad.

محمد شبيب، وثبة في العراق، دار الثقافة، بغداد.

Al-Said Mohammad Baker Al-Hakim, Ahel Albeit, Al-Kuwait Printing.

السيد محمد باقر الحكيم، أهل البيت، مطبعة الكويت.

Debra A. Miller, The Iraqi War, Lucent Books, An imprint of Thomson Gale, a part of the Thomson Corporation.

Dilip Hiro, Iraq In The Eye of The Storm: Published by Thunder's Month Press / Nation Book 161 William Street, 16 Th. Floor, New York, NY 10038.

Jon J, Fialka, and Warriors Covering the Gulf War: The Wood row Wilson Center Press Editorial offices. Washington, D. C. 20024 – 2518.

The Iraq War, Williamson Marry and Robert H. Scales, Jr.: The Belknap Press of Harvard University Press Cambridge, Massachusetts and London England.

William R. Polick, Understanding Iraq: Harper Collins Publishers Inc, 10 Est. 53 rd streets, New York, NY 1022.

Noah, Feldman, What We Owe Iraq: Princeton University Press, Princeton and Oxford. Lawrence Freedman and Efraim Karsh,

John Bullock and Harvey Norris, SADAM'S WAR: The Origins of the Kuwait conflict and International Response.

Yaacou Shmoni, Political Dictionary Of The Arab Word, Macmillan Publishing Company, New York, N.Y. 10022.

The Cambridge History of Islam P. M. HOLT / professor of Arab history Published by the press Syndicate of the Univ. of Cambridge.

Encyclopedia of Islam and the Muslim World Editor in Chief / Richard C. Martin Emory Univ. Atlanta.

The Oxford Encyclopedia, Encyclopedia of the Modern Islamic World, Johan L. Esposito, Oxford Univ. Press.

Charles Tripp A History of Iraq Cambridge University Press 40 West 20 Th. Street, New York, NY 10011-4211 USA.

The Reckoning SANDRA MACKEY, 500 Fifth Avenue, New York, NY 10110 IRAQ: 1968- 2003

David Downing, Raintere / 100 N. LaSalle, Suite 1200, Chicago, IL 6o602.

IRAQ, DANISE BALCAVAGE, Education Group Company, 330 West Olive Street Suite 100 / Milwaukee, Wisconsin, 53212 USA

IRAQ / political Carton, Daniel Leone, President, Bonnie Szumski, Publisher

Warriors Covering the Gulf War, Jon J, Fialka, The Wood row Wilson Center Press Editorial Offices, Washington, D. C. 2004- 2518.

The Iraq War, Williamson Marry and Robert H. Scales, Jr., Massachusetts, and London, England.